الأعمال المسرحيّة الكاملة

(لـ ترنس الإفريقي)

(1)

(فتاة أندروس / أو الأندريّة)

ترجمة: عمّار الجلاصي

الأعمال المسرحيّة الكاملة

(لـ ترنس الإفريقي)

(1)

(فتاة أندروس / أو الأندريّة)

ترجمة: عمّار الجلاصي

أعده للنشر موحمد ؤمادي
مؤسسة تاوالت الثقافية

مقدّمة المترجم

بوبليوس ترنتيوس أفِر أو ترنس كما اشتهر من أبرز الشّعراء المسرحيّين اللاّتين في القرن الثّاني ق م. ترك ستّ ملاهٍ شعريّة عرضها ما بين 166 و 160 ق.م أثناء المهرجانات التي كانت تقام في روما. وقد حُفظت بحال جيّدة وتحمل تفاصيل عرضها. مثلا في عهد أيّ قنصلين وأيّ ناظرين بلديّين مثّلت وواضع موسيقاها ومدير فرقة التّمثيل. لا يُعرف عن حياته إلاّ القليل من المؤرّخ سويتونيوس (69-140 م تقريبا) والنّحويّ دوناتوس (القرن الرّابع). هو إفريقيّ المنشإ من قرطاج ورقيق في الأصل. لاحظ نجابته سيّده ترنتيوس لوكانوس عضو مجلس الشّيوخ بروما فعلّمه وعتقه. ولد على الأرجح في 190 ق.م وإن ذكرت بعض المصادر 185 ق.م ومات أثناء رحلة إلى اليونان لجلب المزيد من مؤلّفات مينندر* الّذي اقتبس منه جلّ مسرحيّاته. في 159 ق.م. أي في سنّ لا تتجاوز 31 سنة وربّما أقلّ إن صحّ تاريخ ميلاده الثّاني كما يشير سويتونيوس الّذي كتب أنّه سافر وهو دون الخامسة والعشرين. وقد لقي مساعدة بعض رجال الدّولة كشبيون الأميليّ (185-129 ق م) المعروف بميله للثّقافة اليونانيّة. يمتاز مسرحه بالواقعيّة، والإنسانيّة والفكاهة دون تهريج ونقاوة الأسلوب.

هذا ويجدر التّنبيه إلى أنّ تقسيم المسرحيّات إلى 5 فصول من وضع ناشري عصر النّهضة ليوافق ذلك قواعد هوراتيوس، كذلك قد يختلف التّقسيم إلى مشاهد من طبعة إلى أخرى، لذلك فقد رقّمنا المشاهد بالأبيات، وهو ما يسمح كذلك للقارئ المدقّق بالعودة إلى النّصّ الأصليّ. أضفنا كذلك ملخّصا قصيرا لكلّ مسرحيّة، فضلا عن ملخّص لقيّوس أبولّينارس أستاذ البلاغة القرطاجنّيّ (القرن 2 م) وتعريفا بالشّخصيّات وإشارات للتّعريف بالجهة المخاطَبة. وألحقنا تراجم للأعلام وملاحظات حول المعاني والأسلوب (في مواضع مشار إليها بالعلامة *). وذيّلنا بملاحظات عامّة حول مسرح ترنتيوس. ونرجو أن نكون قد وفّقنا في تعريف القارئ بهذا الكاتب الإفريقيّ العظيم، كيلا يبقى فنّه "منحصرا في أقلّيّة". فقد "ألّف مسرحيّات لتعمّر طويلا لا لتندثر بموته". كما كتب في تمهيده "للحماة". واللّه وليّ التّوفيق.

10 كانون الثّاني 2001، عمّار الجلاصيّ

ملاحظة: هذه أولى مسرحيّات ترنس، مثّلت في 166 ق.م. اقتبسها من مسرحيّة لمينندر* لفّحها بعناصر من مسرحيّة أخرى. تجمع العنصر الرّوائيّ (تشابك قصّتي حبّ، لغز البطلة الذي يزيده ضبابيّة أنّنا نسمعها مرّة واحدة ولا نشاهدها...) والملهاويّ (خداع العبد لسيّده، عقابه...). تحدّثنا المسرحيّة عن فتاة (غلكريوم) أتت مع المومس* خريسيس من جزيرة أندروس* للإقامة في أثينة، وبقيت بعد موتها بدون سند سوى الشّابّ بنفيلوس الذي يحبّها لكنّ أباه يريد تزويجه من فيلومينة بنت خرمس والتي يحبّها خارينوس. ويعقّد الوضع حمل غلكريوم. يساعد داووس عبد سيمون بنفيلوس بحيله وخدعه التي لسوء الحظّ تكاد توقع الشّابّين في ورطة لا مخرج منها، ثمّ تحدث مفاجأة ندع للقارئ لذّة اكتشافها.

الشّخصيّات

ملقي التّمهيد

سيمون : شيخ، أب بنفيلوس.

صوصيا : عبد سابق لسيمون معتوق.

داووس : عبد سيمون.

ميسيس : خادمة غلكريوم.

بنفيلوس : شابّ، ابن سيمون يحبّ غلكريوم.

خارينوس: شابّ، صديق بنفيلوس.

برّيا : عبد خارينوس.

غلكريوم : فتاة أتت من جزيرة أندروس* مع المومس خريسيس.

خرمس : شيخ، صديق سيمون وأب فيلومينة خطيبة بنفيلوس.

كريتون : ابن عمّ المومس خريسيس كفيلة غلكريوم.

دورمون : عبد سيمون.

لسبية : قابلة.

ملخّص لقيّوس سليقوس أبوليناريس

اغتصب بنفيلوس غلكريوم الّتي يُظَنّ خطأً أنّها أخت مومس أصيلة جزيرة أندروس*، ولمّا حملت وعدها بالزّواج. وكان أبوه قد خطب له ابنة خريمس. فلمّا اكتشف حبّه تظاهر بالإعداد لزواجه رغبة في معرفة نيّة ابنه. وفق نصيحة داووس لم يقاوم بنفيلوس. لكن لمّا رأى خريمس الصّبيّ الّذي ولدته غلكريوم ألغى الزّيجة وصرف صهره. ثمّ تبيّن أنّها ابنته فزوّجها لبنفيلوس والبنت الأخرى لخارينوس.

ملقي التّمهيد (1-27)

لمّا وجّه الشّاعر همّته للكتابة، ظنّ أنّه سيتفرّغ لهذا العمل وحده، ليكتب مسرحيّات تنال رضى الجمهور. لكنّه يفهم الآن أنّ الأمر مختلف تماما. فهو ينفق جهدا كبيرا في كتابة تمهيدات، لا لعرض موضوعه بل للرّدّ على تخرّصات شاعر مغرض عتيق*. والآن انتبهوا جيّدا لما يعيبه عليه خصومه.

ألّف ميننـدر* مسرحيّة بعنوان "الأندريّة"* وأخرى بعنوان "البيرنثيّة"*. من عرف جيّدا إحداهما صار يعرف الاثنتين: فهما لا تختلفان بالموضوع، لكنّه ألّفهما بإنشاء وأسلوب مختلفين. يعترف شاعرنا أنّه نقل من "البيرنثيّة"* إلى "الأندريّة"* مقاطع تناسب الغرض واستخدمها كما لو كانت منها. ينتقد أولئك الجماعة العمليّة زاعمين أنّ من غير المناسب خلط* المسرحيّات. أفيفعلون ذلك لإدراكهم أنّهم لا يدركون شيئا؟ فهم بمؤاخذته يؤاخذون نيويوس* وبلاوتوس* وإنّيوس* الّذين يتّخذهم مرجعا، والّذين يؤثر تقليد أسلوبهم الحرّ في النّقل على تقيّد أولئك بدقّة غامضة*. أدعوهم إلى ملازمة الهدوء مستقبلا والكفّ عن ثلبي كيلا أعرّفهم بعيوبهم.

فاحفوا بنا وشاهدونا بهدوء، واطّلعوا على الحقيقة لتعرفوا إن بقي للشّاعر أمل في تأليف مسرحيّات مستقبلا تستحقّ أن تُعرَض عليكم، أو إن كان يجب بالأحرى استبعادها.

الفصل الأوّل

المشهد الأوّل× (28-171)

سيمون، صوصيا

سيمون : (مخاطبا عبيده) خذوا هذه الأشياء إلى الدّاخل: هيّا انصرفوا. صوصيا، تعال. أريد أن أقول لك بضع كلمات.

صوصيا : اعتبرها قيلت. بلا ريب تريد أن نعتني جيّدا بهذه الأشياء.

سيمون : بل هو أمر آخر.

صوصيا : ما الذي تستطيع شطارتي أن تقدّم لك أكثر من هذا؟

سيمون : لا حاجة إلى الشّطارة في ما أعدّ له، بل إلى صفتين عهدتهما فيك على الدّوام: الإخلاص والكتمان.

صوصيا : أنتظر ما تطلب منّي.

سيمون : مذ اشتريتك، وأنت في ميعة العمر، كانت خدمتك عندي كما تعلم يسيرة رفيقة. ثمّ من عبد جعلتك حرّا لأنّك كنت تخدمني بنفس حرّة. ودفعت لك أكبر مكافأة عندي.

صوصيا : أحفظ في ذاكرتي كلّ ذلك.

سيمون : وما أنا بمغيّر ما فعلت.

صوصيا : يسرّني يا سيمون أن تستلطف شيئا فعلت أو أفعل، وأشكر لك حسن قبولك*. لكنّ كلامك هذا يزعجني قليلا: فهذا التّذكير بمثابة لوم موجّه إلى جاحد نعمة. فهلاّ أخبرتني بالأحرى وباختصار ماذا تريد منّي؟

سيمون : سأفعل. أعلمك أوّلا بهذا الصّدد أنّ ما تَعُدّه زفافا ليس زفافا حقيقيّا.

صوصيا : لِم تتظاهر بذلك إذن؟

سيمون : ستسمع كلّ القصّة من أوّلها فتعرف أسلوب عيش ابني وخطّتي وما أريد منك فعله بهذا الصّدد. بعدما غادر الخدمة العسكريّة*، أتيح له أن يعيش حرّا- وكيف لنا قبل ذلك بمعرفته أو تعرّف طباعه قبل ذلك لمّا كان العمر والخوف والمعلّم يكبحونه؟

صوصيا : الأمر فعلا كذلك.

سيمون : خلافا لأغلبيّة الشّبّان الّذين يوجّهون عادة همّهم إلى إحدى الهوايات، كتربية الخيل أو كلاب الصّيد أو مصاحبة الفلاسفة، لم يكن هو يولي اهتماما خاصّا بأيّ منها أكثر من البقيّة، بل كان يهتمّ بها كلّها باعتدال. فكنت أفرح.

صوصيا : لا ضير في ذلك، فمن المفيد جدّا في الحياة حسب رأيي تجنّب الإفراط.

سيمون : كذا كان نهج حياته: تحمُّل كلّ المكاره بصبر، والتّفاني

في خدمة من يعيش معهم، والاجتهاد في جلب ما يحبّون والامتناع عمّا يكرهون، وذلك ما يتيح للمرء أن يلقى الثّناء دون حسد، ويكوّن له أصدقاء.

صوصيا : لقد نظّم حياته بحكمة. ففي زمننا تولّد المجاملةُ الصّداقةَ والحقيقةُ الكراهيةَ.

سيمون : في الأثناء، ومنذ حوالي ثلاث سنوات، انتقلت امرأة من أندروس* للسّكنى هنا بجوارنا، مضطرّة بسبب فقرها وإهمال أقاربها، ذات حسن بديع وفي ريعان العمر.

صوصيا : أيْ! أخشى أن تحمل هذه الأندريّة* متاعب!

سيمون : في البداية كانت تعيش بشرف، حياة تقشّف وكدح، كاسبة من غزل ونسج الصّوف كفاف يومها. لكن بعدما تقدّم لها عاشق، ملوّحا لها بالمال، ثمّ آخر، ونظرا لما في طبع كلّ البشر من عزوف عن العمل وميل للشّهوات، رضيت بهذا الوضع، ثمّ بدأت تتعيّش منه. وكما يحدث في عديد من الأحوال، حمل إليها عشّاقها يوما بالصّدفة ابني لمشاركتهم عشاءهم. في الحين قلت لنفسي: "وقع في الشّرك، صار مملوكها". كنت أشاهد في الصّباح خدمهم يتردّدون على البيت جيئة وذهابا، فأسأل: "لطفا يا غلام، قل لي أرجوك من كان البارحة مع خريسيس؟"- ذاك كان اسم الأندريّة*.

صوصيا : فهمت.

سيمون : فيجيبون: فدروس، أو كلينيا أو نقراطوس، إذ كان ثلاثتهم يعشقونها في نفس الوقت. "وبنفيلوس؟" "ماذا؟ دفع

حصّته* وتعشّى." فأفرح. ثمّ أعيد السّؤال يوما آخر، فلا أجد شيئا يتعلّق ببنفيلوس. كنت والحال تلك أفكّر أنّه قدّم مثالا رائعا وعظيما على التّحكّم في النّفس. فمن يخالط أناسا من هذا النّوع ولا تتأثّر نفسه مع ذلك بهذه المغريات، يمكنك أن تعلم أنّه قادر على ضبط نهج حياته. كان ذلك يعجبني، وقد أجمع الكلّ على كلّ مدح وعلى تهنئتي بحظّي أن يكون لي ابن بمثل ذلك الخلق العظيم. ما الحاجة إلى الإطالة؟ أتاني خريمس من تلقاء نفسه، مدفوعا بهذه السّمعة الطّيّبة، يعرض إعطاء ابنته الوحيدة زوجة لابني، وبمهر معتبر. أعجبتني الفكرة فخطبتها. واليوم بالتّحديد موعد الزّفاف.

صوصيا : وما يمنع أن يكون زفافا حقيقيّا؟

سيمون : ستعلم، بعد أيّام قليلة من هذه الوقائع، ماتت جارتنا خريسيس.

صوصيا : خبر جيّد: أفرحتني. فقد خفت عليه من خريسيس هذه.

سيمون : ظلّ ابني يتردّد على بيتها كثيرا مع عشّاقها. فكان يعتني معهم بإعداد جنازتها. كان في كثير من الأحيان يبدو حزينا، وأكثر من مرّة رأيته يبكي. أكبرتُ فيه ذلك إذ كنت أفكّر: "إن كان يتأثّر لموتها إلى مثل هذا الحدّ بسبب علاقة بسيطة فماذا لو كان يحبّها؟ وماذا سيفعل من أجلي أنا والده؟" كنت أفكّر أنّ كلّ ذلك أدب نفس دمثة وطبع رقيق. لم أطيل عليك؟ ذهبت أنا نفسي إلى الجنازة إكراما له، غير مرتاب بعد بالمصيبة.

صوصيا : أيّة مصيبة؟

سيمون : ستعرف. سيرَ بالجثمان وسرنا. في الأثناء، بين النّسوة الحاضرات لمحتُ عرضاً فتاة ذات حسن...

صوصيا : بديع كما أتصوّر.

سيمون : ووجه متناسق ليس كمثله رواء وبهاء. ولأنّها بدت لي أشدّ تأثّرا من الأخريات وتفوقهنّ بحسنها الخِفر الكريم، دنوت من المشيّعات وسألت من هي فقلن إنّها أخت خريسيس. نغز ذلك فورا بقلبي، هذا إذن حلّ اللّغز، هوذا سرّ تلك الدّموع وذلك الوجد.

صوصيا : كم أتوجّس خيفة ممّا أنت آت إليه.

سيمون : في الأثناء كانت الجنازة تتقدّم ونحن نتبعها، حتّى وصلنا إلى القبر. فوضع الجثمان على المحرقة، وبكينا. بينما نحن كذلك، إذا بأختها تدنو من النّار دون أن تحتاط من الخطر، إذّاك وشى بنفيلوس الذّاوي من الأسى بهواه المكتوم بإتقان في خفايا فؤاده، هرع وأمسك الفتاة من فرعها قائلا: "حبيبتي غلكريوم، ماذا دهاك؟ لم تسعين إلى الهلاك؟" فتهاوت في حضنه باكية بنحو ينمّ عن علاقة حميمة، فاضحة حبّا بلغ درجة الألفة بينهما.

صوصيا : ماذا تقول؟

سيمون : عدت من هناك غاضبا، كاظما مضاضتي، إذ لم يكن هناك مبرّر كاف لتأنيبه. كان سيقول: "ماذا فعلت؟ فيم أجرمت

أو أخطأت يا أبي؟ منعت امرأة من إلقاء نفسها في النّار." وهو لعمري مبرّر وجيه.

صوصيا : تفكير سليم. فلو لمت من أنقذ حياة غيره، ماذا تفعل مع من يسبّب لغيره أذيّة أو سوءاً؟

سيمون : من الغد جاءني خريمس مستنكرا فعلته الشّائنة، فقد علم أنّه يعاشر تلك الغريبة معاشرة الأزواج. فأنكرت التّهمة بإصرار، وأصرّ هو عليها. أخيرا بارحته بعدما ألغى وعده بإعطاء ابنته.

صوصيا : ألم تدْع ابنك إذّاك؟

سيمون : حتّى ذلك لم يكن مسوّغا كافيا لتأنيبه.

صوصيا : كيف ذلك؟ قل أرجوك.

سيمون : كان سيقول: "أنت الّذي رسمت حدّا لمجريات حياتي يا أبي. حان الوقت الّذي سيكون عليّ أن أعيش فيه على هوى غيري، فاسمح لي أن أعيش في الأثناء على هواي."

صوصيا : أيّ مبرّر بقي لتأنيبه إذن؟

سيمون : إن رفض، بسبب حبّه، الزّواج. فتلك منه غلطة تستوجب العقاب. وأنا الآن أحاول جاهدا أن أوفّر من خلال هذا الزّفاف الزّائف مبرّرا مشروعا لتقريعه في حال الرّفض، وفي نفس الوقت إن كانت لذلك اللّئيم داووس خطّة ما ليستخدمها الآن حيث لا يمكن أن تجرّ حيله أيّة متاعب. إذ إخاله سيسخّر كلّ طاقاته، ويستعمل كلّ الوسائل المتاحة، لإيذائي أنا أكثر ممّا يفعل

لخدمة ابني.

صوصيا : لِم ذلك؟

سيمون : تسألني؟ خباثة نفسه ولؤم طبعه. وحقّ السّماء إن شعرت منه...لكن ما الدّاعي إلى الكلام؟ إن تمّ ما أريد فلم يبد بنفيلوس أيّة مماطلة، إذّاك يبقى خرمس الّذي يجب أن أبرّئه أمامه وآمل أن أوفّق في ذلك. أمّا مهمّتك فهي أن تموّه جيّدا هذا الزّفاف وتخوّف داووس وتراقب ابني ماذا يفعل وأيّ قرار يتّخذ بمعيّته.

صوصيا : مفهوم. سأهتمّ بالمسألة.

سيمون : لنذهب الآن إلى البيت. اسبقني وسأتبعك. (ينصرف صوصيا)

المشهد الثّاني (172-205)

سيمون، داووس

سيمون : (مخاطبا نفسه) لا شكّ أنّ ابني يرفض الزّواج. فقد شعرت بأنّ الخوف استولى على داووس لمّا سمع بخبر الزّفاف. لكن هوذا يخرج.

داووس : (مخاطبا نفسه) كنت أتساءل باستغراب إن كان الأمر سيمرّ هكذا، وأخشى ما سيفضي إليه تغاضي سيّدي المتواصل، فحتّى بعدما سمع بأنّ والد الفتاة يرفض إعطاءها لابنه لم يوجّه كلمة لأيّ منّا ولا أبدى ضيقا.

سيمون : (مخاطبا نفسه وقد سمعه) لكنّه سيفعل الآن، ولن يخلو ذلك من ضرر فادح لك!

داووس : (مخاطبا نفسه) هكذا أراد أن يخدعني بفرحة الغافل الكاذبة وطمأنينة الآمل الآمن، ويأخذني على غرّة فلا أجد متّسعا للتّفكير وإفشال الزّواج: حيلة بارعة!

سيمون : (مخاطبا نفسه) عمّ يتحدّث اللّئيم؟

داووس : (مخاطبا نفسه) إنّه سيّدي، لم أره أمامي.

سيمون : داووس!

داووس : نعم. ماذا؟

سيمون : تعال.

داووس : (مخاطبا نفسه) ماذا يريد منّي؟

سيمون : ماذا تقول؟

داووس : بأيّ خصوص؟

سيمون : تسألني؟ يشاع أنّ لابني خليلة.

داووس : النّاس مهتمّون بذلك كما أرى.

سيمون : أجيبني عمّا سألتك أم لا؟

داووس : نعم طبعا.

سيمون : لكن السّعي إلى معرفة ذلك الآن سيكون تصرّف أب متسلّط. ما صنع قبل اليوم لا يعنيني. طالما سنحت له الفرصة، سمحت له بأن يقضي منها لبانته. لكنّ هذا اليوم يحمل له حياة جديدة ويتطلّب منه سلوكا مختلفا. لذا أطلب منك، أو- إن كان هذا أنسب- أترجّاك يا داووس أن يعود الآن إلى سواء السّبيل. لِم أطلب منك ذلك؟ لعلمي بأنّ العشّاق يجدون مشقّة في قبول الزّواج.

داووس : ذلك ما يقال.

سيمون : ثمّ إن اتّخذ المرء والحال تلك مرشدا مضلاّ في هذا الباب، فكثيرا ما يوجّه نفسه السّقيمة أصلا إلى الوجهة السّوءى.

داووس : لا أفهم وحقّ هرقل*.

سيمون : كلاّ؟ عجبا.

داووس : كلاّ، فأنا داووس لا أوديب*.

سيمون : تريد إذن أن أقول البقيّة بصراحة؟

داووس : تماما.

سيمون : إن شعرت اليوم أنّك تحاول تدبير حيلة ما لإحباط الزّفاف، أو تريد إبراز مدى شطارتك في هذا الباب، لآمرنّ بجلدك ونفيك إلى الطّاحونة حتّى الموت، متعهّدا ومقسما أنّي لو أخرجتك لأجرّنّ مكانك الرّحى. هل فهمت ذلك أم لم تفهمه بعد هو الآخر؟

داووس : بل فهمت تماما، فأنت بهذا النّحو تكلّمت تصريحا لا تلميحا، أو مواربة وتلويحا.

سيمون : أسهلُ عليّ التّلاعب بي في أيّ ميدان آخر منه في هذا.

داووس : كلمات طيّبة والحقّ يقال.

سيمون : أتسخر منّي؟ لكنّي أقول لك: إيّاك وأيّ عمل طائش، وإلاّ لا تقولنّ من بعد إنّي لم أنذرك، حذار. (ينصرف)

المشهد الثّالث (206-227)

داووس

داووس : (مخاطبا نفسه) صدقا يا داووس، لا مجال للتّراخي أو التّهاون. فقدر ما فهمت الآن خطّة الشّيخ بخصوص الزّفاف، إن لم أتدبّر للأمر حيلة سيجرّ عليّ وعلى سيّدي أسوأ الويلات. لا أدري ماذا أصنع. أساعد بنفيلوس أو أنصاع للشّيخ. إن تخلّيت عن ذاك فإنّي أخشى على حياته، وإن أعنته فإنّي أخشى على نفسي من تهديدات هذا إذ من الصّعب أن أخدعه، فقد علم بخبر هذا الحبّ ثمّ إنّه يترصّدني، مضمرا لي شرّ الأنكال، مخافة أن أدبّر حيلة ما بخصوص الزّفاف. إن أحسّ منّي أيّة حركة فالويل لي، وإن عنّ له سيتّذرع بذلك ليرمي بي إلى الطّاحونة، سواء كان ذلك عدلا أو ظلما، إلى كلّ هذه المتاعب، تضاف أخرى: أنّ تلك الفتاة، سواء كانت زوجة بنفيلوس أو خليلته، حامل من صلبه. ومن الشّيّق الاستماع إلى خطّتهما الجسورة، فهي من وضع مجنونين لا عاشقين*: قرّرا تربية المولود أيّا كان، واختلقا خرافة مفادها أنّها مواطنة أتّيكيّة*: "كان قبل عدّة سنوات تاجر عجوز تحطّمت سفينته على سواحل جزيرة أندروس* فقضى نحبه. هناك لقي أب خريسيس ابنته الصّغيرة اليتيمة، ملقاة على الشّاطئ." أساطير. هذا وحقّ هرقل* ممّا لا يحتمل حدوثه في اعتقادي. ولقد أعجبتهما قصّتهما الخياليّة. لكن ها هي ميسيس تخرج من عندها. من جهتي يجب أن أذهب إلى القصبة* لمقابلة بنفيلوس كيلا يبغته أبوه وهو غير متفطّن للموقف.

المشهد الرّابع (228-235)

ميسيس

ميسيس : (تخاطب شخصا بالدّاخل) كفى يا أرخليس فقد سمعتكِ: تأمرينني بإحضار لسبية. إنّها وحقّ بولكس* امرأة سكّيرة ورعناء ولا تستحقّ أن يُعهد إليها بامرأة في أوّل مخاض. أفسأجلبها مع ذلك؟ (تخاطب نفسها) انظروا إلى إصرار تلك العجوز الغرور لأنّها نديمتها. أيّها الآلهة رحماكم. أعطوا سيّدتي أن تلد بسلام، وتلك المرأة أن تجرّب أخطاءها في أخريات بالأحرى. لكن ما لي أرى بنفيلوس في حالة يرثى لها؟ أخشى أن يكون حدث مكروه. سأنتظر لأعرف أيّة بليّة ستجلب لنا هذه البلبلة.

المشهد الخامس (236-300)

بنفيلوس، ميسيس

بنفيلوس: (مخاطبا نفسه) أهذا عمل أو تفكير يليق ببشر؟ أهذا تصرّف يليق بأب؟

ميسيس : (مخاطبة نفسها) ما الخبر ترى؟

بنفيلوس: (مخاطبا نفسه) ماذا أدعو هذا بحقّ الآلهة، إن لم يكن نكاية؟ قرّر أن يزوّجني اليوم: أفما كان ينبغي أن أعلم بذلك من قبل؟ أما كان المفروض أن يخبرني به مسبقا؟

ميسيس: (مخاطبة نفسها) يا للتّعاسة، أيّ كلام هذا الّذي أسمع؟

بنفيلوس: ماذا؟ خرمس الّذي رفض قبل إعطائي ابنته غيّر موقفه دون أن يرى تغييرا من جانبي. أتراه يجتهد بتصميم لينتزعني، يا لبؤسي، من غلكريوم. إن تمّ ذلك قُضي عليّ قضاء مبرما. أيوجد ترى إنسان أتعس أو أنكد حظّا منّي بحقّ الآلهة والبشر؟ أما من وسيلة لأفلت من مصاهرة خرمس؟ بكم من الوجوه أهانني وازدراني؟ كلّ شيء قُضي وانتهى. بعد ما صرفني، طلبني من جديد. لماذا، إن لم يكن للسّبب الّذي أرتاب به: أنّهم يربّون بنتا غير سويّة، ولعجزهم عن تصريفها لأحد، يأتون إليّ؟

ميسيس : يا لبؤسي، هذا الكلام يذيب مهجتي خوفا.

بنفيلوس: وماذا أقول هنا عن أبي؟ واحرّ قلبي، بكم من التّهاون يتصرّف* في شأن بمثل هذه الخطورة. قال لي وهو يمرّ بي قبل ساعة عند القصبة*: "عليك اليوم أن تتزوّج يا بنفيلوس فرُحْ إلى البيت واستعدّ." بدا لي كأنّه يقول: "رح بسرعة واشنق نفسك". بُهتّ، وهل كان بوسعي أن أنبس بكلمة؟ أو أتذرّع بأيّ عذر، ولو واه وزائف؟ خرست. لو سألني الآن أحد ماذا كنت سأفعل لو علمت بالأمر مسبقا، لأجبتُ أنّي كنت سأفعل غير ما فعلت. والآن في أيّ اتّجاه أحرّك أوّلا؟ شواغل شتّى تشلّني إذ تتنازع نفسي: حبّي وعطفي عليها، هاجس هذا الزّواج، ثمّ الحياء من أبي الذي تجاوز دوما حتّى هذا اليوم عن كلّ نزواتي بسماحة، أفيُعقل أن أعارض رغبته؟ يا ويلتى! أنا في حيرة.

ميسيس : (مخاطبة نفسها) يا لشقائي! أخشى ما ستؤول إليه هذه "الحيرة". لكن لا بدّ الآن وبأيّ ثمن أن يتحدّث بهذا وجها لوجه معها أو معي نيابة عنها. فما دام في حيرة، يمكن بدفعة طفيفة توجيهه إلى هنا أو إلى هناك.

بنفيلوس: من يتكلّم هنا؟ ميسيس، سلاما.

ميسيس : سلاما يا بنفيلوس.

بنفيلوس: ما أخبارها؟

ميسيس : تسألني؟ المسكينة تعاني آلام المخاض ويخضّها القلق، فاليوم هو الموعد المحدّد لزواجك. وهي تخاف أن تتخلّى عنها.

بنفيلوس: وهل يمكن أن أفكّر في ذلك؟ أو أسمح بأن تُخدع بسببي، والمسكينة استودعتني نفسها وحياتها كلّها وأنا

أحبّها بكلّ كياني إلى درجة النّظر إليها كزوجة. أأسمح بأن تتغيّر تحت وطأة الفقر القاهرة نفسها الّتي أنشئت وربّيت* على الخير والعفّة؟ لن أفعل.

ميسيس : ما كنت سأخشى ذلك لو كان الأمر بيدك أنت فقط. لكن أتمنّى أن تستطيع الصّمود.

بنفيلوس: أتظنّينني خرعا بل وجاحدا ولئيما وقاسيا فلا العِشرة ولا المحبّة ولا المروءة تؤثّر فيّ أو تهيب بي أن أفي بوعدي؟

ميسيس : أعلم شيئا واحدا: أنّها أهل لتكون وفيّا لها.

بنفيلوس: وفيّا لها؟ ميسيس يا ميسيس، لا تزال كلمات خريسيس بخصوص غلكريوم منقوشة في فؤادي. دعتني وهي تحتضر فجئتها. أُبعدتنّ وبقينا لوحدنا. فبادرتني: "بنفيلوس العزيز، أنت ترى حسنها وعمرها. ولا يخفى عنك أنّهما لا يجديانها في صيانة عرضها ومالها. لذا أستحلفك بيميني وبإلهك الحامي*، أناشدك بمروءتك وبوحودتها، ألاّ تفارقها أو تتركها. لقد أحببتُك كأخ شقيق وهي قد جعلتُك دوما فوق الجميع وحابتك في كلّ شيء، وإنّي أعطيتك لها زوجا وصديقا وكفيلا وأبا وأكل لك بكلّ أملاكنا وأضعها في ذمامك." ثمّ أمسكت يدها فوضعتها في يدي، وفي الحال توخّاها حِمام المنون. لقد أُودِعتها وسأحافظ على الوديعة.

ميسيس : أرجو ذلك حقّا.

بنفيلوس: لكن أخبريني، لِم خرجتِ من عندها؟

ميسيس : لأحضر القابلة.

بنفيلوس: عجّلي إذن وإيّاك أن تقولي لها كلمة واحدة عن الزّفاف وإلاّ أضفتِ إلى سقمها...

ميسيس : مفهوم.

الفصل الثّاني

المشهد الأوّل× (301-337)

خارينوس، برّيا، بنفيلوس

خارينوس: ماذا تقول يا برّيا؟ أصحيح أنّها تزفّ اليوم لبنفيلوس؟

برّيا : نعم هو كذلك.

خارينوس: كيف تعلم ذلك؟

برّيا : سمعته من داووس قبل قليل عند القصبة*.

خارينوس: ويلي ما أتعسني. حتّى هذه اللّحظة ظلّت نفسي متأرجحة بين الأمل والخوف. أمّا الآن بعد ضياع الرّجاء، فهي منذهلة منهارة نهب للهواجس.

برّيا : بحقّ بولكس* أرجوك يا خارينوس بما أنّ ما تريد غير ممكن فلتردْ ما هو ممكن.

خارينوس: لا أريد سوى فيلومينة.

برّيا : أفضلُ لك بكثير أن تبذل ما في وسعك لتجتثّ من قلبك هذا الهوى، من قول ما يؤجّج وجدك سدى.

خارينوس: سهل علينا كلّنا إذا كنّا أصحّاء تقديم نصائح قويمة للمرضى. لو كنت مكاني لفكّرت بنحو مختلف.

برّيا : حسنا، حسنا، كما تشاء.

خارينوس: لكن أرى بنفيلوس. يقينا سأحاول كلّ شيء قبل أن أهلك.

برّيا : ماذا ستفعل؟

خارينوس: سأترجّاه مباشرة، سأتوسّل إليه، سأحكي له قصّة حبّي. أظنّ أنّي سأحصل منه على الأقلّ على تأجيل زواجه بضعة أيّام، آمل أن يحصل في غضونها شيء ما.

برّيا : "شيء ما" هذا هو لا شيء على الإطلاق.

خارينوس: برّيا ما رأيك، أأذهب إليه يا ترى؟

برّيا : وما المانع؟ إن لم تحصل منه على شيء، فليفكّر أنّه في حال زواجه قد أعدّ عشيقا لزوجته.

خارينوس: اذهب في داهية مع تخرّصاتك يا لئيم.

بنفيلوس: أرى خارينوس. سلاما.

خارينوس: سلاما يا بنفيلوس. جئتك ألتمس منك الأمل والخلاص، والعون والنّصيحة.

بنفيلوس: لا محلّ عندي للنّصيحة وحقّ بولكس*، ولا وسيلة للعون. لكن قل لي: ما حاجتك؟

خارينوس: أصحيح أنّك تتزوّج اليوم؟ بنفيلوس، إن تفعل ذلك فستراني اليوم لآخر مرّة.

بنفيلوس: ولِم ذلك؟

خارينوس: يا ويلتي، أخشى أن أقولها. قل له أرجوك يا برّيا.

برّيا : سأقول.

بنفيلوس: ما الخبر؟

برّيا : إنّه يحبّ خطيبتك.

بنفيلوس: ليس له كما أرى نفس مشاعري. لكن قل لي: هل كان بينك وبينها أكثر من ذلك يا خارينوس؟

خارينوس: كلاّ يا بنفيلوس، لا شيء.

بنفيلوس: ليته كان.

خارينوس: أناشدك إذن بصداقتنا ومودّتنا من البدء ألاّ تتزوّجها.

بنفيلوس: تأكّد أنّي سأبذل قصارى جهدي.

خارينوس: لكن إن لم يمكن، أو إن كان الزّواج عزيزا على قلبك...

بنفيلوس: على قلبي؟

خارينوس: فعلى الأقلّ أجّله بضعة أيّام ريثما أرحل إلى مكان بعيد فلا أراه.

بنفيلوس: اسمعني الآن يا خارينوس: أرى من واجب الحرّ ألاّ يطلب جميلا إن كان لا يستحقّ شيئا. إنّي زاهد في الزّواج بها قدر ما أنت راغب فيه.

خارينوس: أعدت لي الرّوح.

بنفيلوس: والآن إن استطعتما أنت أو برّيا عمل شيء ما فافعلا، استنبطا، ابتكرا، نفّذا* ما يكفل أن يعطيها لك أبوها، وأنا من

جهتي سأعمل على ألاّ يعطيها لي.

خارينوس: هذا منك يكفيني.

بنفيلوس: ها أنا أرى في الوقت المناسب داووس الّذي نصائحه عدّتي وعمدتي.

خارينوس: (مخاطبا برّيا) أمّا أنت فلا تعلّمني شيئا وحقّ هرقل* إلاّ ما لا حاجة بتاتا إلى معرفته. إليك عنّي.

برّيا : حسنا، وبكلّ سرور. (ينصرف)

المشهد الثّاني (338-403)

داووس، خارينوس، بنفيلوس

داووس : (مخاطبا نفسه دون رؤية خارينوس وبنفيلوس) أيّها الآلهة الأخيار، أيّة خبر خيرٍ أحمل؟ لكن أين ترى سأجد بنفيلوس لأستأصل الخوف الّذي هو الآن فيه، وأملأ نفسه فرحا.

خارينوس: (مخاطبا بنفيلوس) لسبب ما أراه مبتهجا.

بنفيلوس : كلّ ما في الأمر أنّه لم يعلم بعد بهذه المصائب.

داووس : (مخاطبا نفسه) أحسبه الآن، إن سمع من قبل بإعداد زفافه...

خارينوس: (مخاطبا بنفيلوس) أتسمعه؟

داووس : (مواصلا) يبحث عنّي لاهثا في المدينة كلّها. لكن أين سأبحث عنه؟ أين أتوجّه الآن بالأوّلى؟

خارينوس: (مخاطبا بنفيلوس) ماذا تنتظر لتكلّمه؟

داووس : (مخاطبا نفسه) وجدت.

بنفيلوس : داووس، قف وتعال إلى هنا.

داووس : من ذا الذي...؟ وي! بنفيلوس، عنك أبحث. مرحى يا خارينوس. وجدتكما معا في الوقت المناسب، فإنّي أريد التّحدّث إليكما.

بنفيلوس : هلكتُ يا داووس.

داووس : استمع بالأحرى إلى ما عندي.

خارينوس: انتهيت.

داووس : أعرف ما تخشى.

بنفيلوس : حياتي وحقّ هرقل* الآن في شكّ يقيناً* .

داووس : وأعرف ما تخشى أنت أيضا.

بنفيلوس : سيزفّون لي...

داووس : أعلم.

بنفيلوس : اليوم...

داووس : تزعجني. أفهم كلّ ذلك. (مشيرا إلى خارينوس ثمّ إلى بنفيلوس) أنت تخاف ألاّ تتزوّجها أمّا أنت فتخاف أن تتزوّجها.

خارينوس: فهمتَ الموقف بالضّبط.

بنفيلوس : هو ذاك بالتّحديد.

داووس : وذاك بالتّحديد لا خوف منه مطلقا. انظر إليّ.

بنفيلوس : أرجوك، خلّصني بسرعة من هذا الخوف الذي أعاني منه عذابا لا يوصف.

داووس : هأنذا أخلّصك منه: خرمس لا يعطيك ابنته.

بنفيلوس : كيف تعلم ذلك؟

داووس : أعلمه. استوقفني السّاعة أبوك فقال إنّه سيزوّجك

اليـوم وعـدّة أشـياء أخـرى لا مجـال الآن لسـردها. جريـت إلى القصبـة* فـورا لأخبرك. لم أجـدك هناك فصعـدت على تلعة وأجلت بصري فلم أر لك أثرا. رأيت صدفة عبده برّيا. سألته فنفى أن يكـون قد رآك. انزعجت فأخذت أفكّـر في ما أصنع. عند إيابي داخلني شـكّ أوحى به الوضع في حـدّ ذاته: عجبا ليس عندنا إلاّ قليل من المؤن والشّيخ حزين ويريد فجأة إتمام الزّواج: هذه الوقائع غير متماسكة.

بنفيلوس : أين تريد الوصول؟

داووس : لذلـك ذهبـت فـورا إلى بيـت خريمس. لمّـا وصلت كانت السّاحة أمام البيت خالية يخيّم عليها السّكون: ففرحت.

خارينوس: كلام معقول.

بنفيلوس : واصل.

داووس : مكثت فلم أر أحدا يدخل أو يخرج ولا سـيّدة بالبيت ولا زينة ولا هرجا ومرجا. دنوت ونظرت إلى الدّاخل.

بنفيلوس : أعلم: علامة واضحة.

داووس : أفتتماشى هذه المظاهر مع عرس؟

بنفيلوس : أظنّ أن لا يا داووس.

داووس : تقول "أظنّ"؟ أخطأت المرمى. فالمسألة واضحة كالشّمس في طالعة النّهار. ثمّ إنّي قابلت وأنا أرحل من هناك غلاما لخريمس كان يحمل خضرا وأسماكا صغيرة لعشاء الشّيخ.

خارينوس: خلصت اليوم بفضلك يا داووس.

داووس : كلاّ، على الإطلاق.

خارينوس: كيف ذلك؟ بما أنّه لا يعطيها له.

داووس : يـا للسّـخف! كما لـو كان حتميّا إن لـم يعطها له أن تتزوّجهـا أنت، إن لم تحتـط للأمر، إن لم تترجّ وتسـتمل أصحاب الشّيخ.

خارينوس: حسـنا فعلتَ بتنبيهي: سأذهب، حتّى وإن خيّب أملي وحقّ هرقل* من قبل مرارا. سلاما. (ينصرف)

بنفيلوس : ماذا يقصد أبي إذن؟ لم هذا التّمثيل؟

داووس : سـأقول لـك. لـو كان الآن ناقمـا عليـك لأنّ خريمس لم يعطـك ابنته، لبدا ظالما حتّى لنفسـه- وهو لا يخطئ في ذلك- قبـل أن يتبـيّن حقيقة نواياك حـول هذا الزّواج. لكـن إن رفضتَ الزّواج، فسيحمّلك إذّاك المسـؤوليّة، وستتعرّض عندئذ إلى تلك المتاعب.

بنفيلوس : سأتحمّل كلّ المصاعب.

داووس : ذلك هو أبوك يا بنفيلوس: رجل صعب المراس، وهي امرأة بلا سـند. سـيجد، قارناً الفعل والقول، ذريعة مـا ليقصيها عن المدينة.

بنفيلوس : يقصيها؟

داووس : بأسرع ممّا تتصوّر.

بنفيلوس : قل لي إذن ماذا أصنع يا داووس.

داووس : قل إنّك ستتزوّجها.

بنفيلوس : ماذا؟

داووس : ما المشكل؟

بنفيلوس : أنا أقول ذلك؟

داووس : ولم لا؟

بنفيلوس : لن أفعل أبدا.

داووس : لا ترفض.

بنفيلوس : لا تحاول إقناعي.

داووس : فكّر في عاقبة موقفك.

بنفيلوس : أن أُفصَل عن تلك، وأُرتهن* لهذه؟

داووس : ليس الأمر كذلك. بل سيكون في ظنّي بهذا النّحو: سيقول لك أبوك: "أريد تزويجك اليوم." فتقول: "سمعا وطاعة. أتزوّج."قل لِم يؤنّبك إذّاك. ستربك إذّاك خططه الثّابتة الآن ولا خطر عليك. فلا شكّ أنّ خريس لن يعطيك ابنته، لذا لن تقلع عن علاقتك كيلا يغيّر رأيه. قل لأبيك إنّك ترغب فلا يمكنه، إن شاء، وجود مبرّر مشروع للغضب عليك. أمّا ما تؤمّل قائلا لنفسك: "بسلوكي سأبعد عنّي أيّة امرأة بسهولة ولن يرضى أحد بتزويجي ابنته"، فإنّ أباك سيجد فتاة معدمة مؤثرا ذلك على تركك للمفاسد. لكن إن رآك تقبل بطيبة خاطر، فسيهتمّ أقلّ بالأمر ويبحث على مهل عن زوجة أخرى، وفي الأثناء سيجدّ أمر ما في صالحنا.

بنفيلوس : أتعتقد أنّ الأمر كذلك؟

داووس : بدون أدنى شكّ.

بنفيلوس : فكّر جيّدا في ما جَرّني إليه.

داووس : هلاّ سكتّ؟

بنفيلوس : سأقول كما أشرت عليّ. لكن حذار أن يعلم بأنّ لي ولدا منها. فقد وعدت بالاعتراف به.

داووس : يا للتّصرّف الطّائش!

بنفيلوس : لقد ترجّتني أن أعطيها عهدا بذلك لتثق بأنّي لن أتخلّى عنها.

داووس : سأعتني بالموضوع. لكن هذا أبوك آتيا نحونا. حذار أن يشعر بأنّك حزين.

المشهد الثّالث (404-411)

سيمون، داووس، بنفيلوس

سيمون : (مخاطبا نفسه) أعود لأرى ما يفعلان وأيّ قرار يتّخذان.

داووس : (مخاطبا بنفيلوس) إنّه الآن لا يشكّ في رفضك للزّواج. هو ذا يأتي من مكان ما للتّفكير في موضع خال. ويرجو أنّه وجد الكلام الّذي سيفحمك به. فحاول أن تتمالك نفسك.

بنفيلوس : فقط قدر مستطاعي، يا داووس.

داووس : صدّقني إذ أقول لك يا بنفيلوس إنّ أباك لن يتبادل معك كلمة واحدة إن أعلنت له أنّك تقبل الزّواج.

المشهد الرّابع (412-431)

برّيا، سيمون، داووس، بنفيلوس

برّيا : (مخاطبا نفسه) أمرني سيّدي أن أتفرّغ اليوم لمراقبة بنفيلوس لأعرف ما سيفعل بشأن زفافه. وهأنذا لذلك السّبب أتبعه إلى هنا حيث أتى. ها هو بالتّحديد أمامي. سأنفّذ مهمّتي.

سيمون : (مخاطبا نفسه) أراهما الاثنين هنا.

داووس : (مخاطبا بنفيلوس) ويحك، انتبه.

سيمون : بنفيلوس.

داووس : (مخاطبا بنفيلوس) انظر صوبه كما لو لم تكن تدري بوجوده.

بنفيلوس : (متظاهرا بالمفاجأة) ويك. أبي.

داووس : (مخافتا) جيّد.

سيمون : أريدك أن تتزوّج اليوم كما قلت لك.

برّيا : (مخاطبا نفسه) أنا الآن في خوف على صفّنا ممّا سيجيب.

بنفيلوس : لن أعصي لك أمرا، لا بهذا الشّأن ولا بغيره.

برّيا : (مخاطبا نفسه) عجبا!

داووس : (مخاطبا نفسه) خرس.

برّيا : (مخاطبا نفسه) ماذا قال؟

سيمون : أنت تتصرّف كما يجدر بك إذ تلبّي طلبي بطيب خاطر.

داووس : (مخاطبا نفسه) أأنا محقّ؟

برّيا : (مخاطبا نفسه) أضاع سيّدي تلك المرأة حسب ما أسمع.

سيمون : والآن اذهب إلى البيت كي تكون عند الطّلب لدى الحاجة.

بنفيلوس : أنا ذاهب. (ينصرف)

برّيا : (مخاطبا نفسه) أما لأحد من عهد قطّ؟ صحيح ذلك القول* الّذي يقوله النّاس أنّ كلاّ يؤثر نفسه على غيره. رأيت مرّة تلك الفتاة فبدت لي رائعة الجمال، إذّاك تفهّمت أكثر بنفيلوس في إيثاره أن يكون هو لا الآخر من يحتضنها للنّوم. سأذهب لأخبره بما سمعت، وإن كان سينالني منه سوء على هذا الخبر السّيّء. (ينصرف)

المشهد الخامس (432-458)

داووس، سيمون

داووس : (مخاطبا نفسه) إنّه الآن يحسبني أحمل له مكيدة، ولهذا السّبب تخلّفت هنا.

سيمون : ماذا يقول داووس؟

داووس : لا شيء الآن.

سيمون : لا شيء؟ حقّا؟

داووس : لا شيء على الإطلاق.

سيمون : لكن كنت حقّا أنتظر خبرا منك.

داووس : (مخاطبا نفسه) أحسّ أنّ الأمور جرت بغير ما كان يشتهي: أفحمه الرّدّ وقلب حساباته.

سيمون : أيمكنك أن تصدقني القول؟

داووس : لا شيء أيسر من ذلك.

سيمون : ألا يضايقه هذا الزّواج، بسبب علاقته بتلك الغريبة؟

داووس : أبدا وحقّ هرقل*، وإن حصل فكدر يومين أو ثلاثة، تعرف؟ ثمّ سيتوقّف. فقد قلّب الأمر فعلا في ذهنه بطريقته الخاصّة

سيمون : وأنا أُكبِر منه ذلك.

داووس : طالما أبيح له وأتاح له العمر أن يتسرّى، فعل. لكنّه استتر واحترس ألاّ تجلب له علاقته أيّ ذمّ كما يليق برجل محترم. أمّا الآن فهو بحاجة إلى زوجة: لذا صبّ كلّ اهتمامه على الزّوجة.

سيمون : بدت لي عليه مسحة من الحزن.

داووس : لا بسبب هذه المسألة، لكن هناك ما يبرّر موجدته عليك.

سيمون : ما ذلك؟

داووس : صبيانيّات.

سيمون : ما هي؟

داووس : لا شيء.

سيمون : ألا أخبرتني ما هي؟

داووس : قال إنّك أفرطت في الضّغط على الإنفاق.

سيمون : أنا؟

داووس : أنت طبعا. قال: لقد اشترى بالكاد مقدار عشرة دراهم من المؤن كأنّه لا يزوّج ابنه. من من رفاقي أدعو إلى الحفل تفضيلا على غيره؟ وأظنّك فعلا- إن تسمح لي بإبداء رأيي- بالغت في الاقتصاد وهو ما لا أمدحك عليه.

سيمون : دعك من هذا.

داووس : (مخاطبا نفسه) زعزعتُه.

سيمون : سأحرص على أن يتمّ كلّ شيء حسب الأصول. (

مخاطبا نفسه) ما هذا الأمر؟ ماذا يريد الدّاهية؟ إن يكن من سوء هنا، فهذا لعمري رأس كلّ بلاء.

الفصل الثّالث

المشهد الأوّل (459-480)

ميسيس، سيمون، داووس، لسبية، غلكريوم

(من الدّاخل)

ميسيس : (مخاطبة مرافقتها) الأمر كما قلتِ تماما يا لسبية وحقّ بولكس*. لا نكاد نجد رجلا وفيّا لامرأة.

سيمون : (مخاطبا داووس) هذه خادمة من بيت فتاة أندروس*.

داووس : عفوا، ماذا تقول؟ آ، هي كذلك.

ميسيس : (مواصلة حديثها) لكنّ بنفيلوس هذا...

سيمون : (مخاطبا داووس) ماذا تقول؟

ميسيس : (مواصلة حديثها) كان عند حسن الظّنّ.

سيمون : (مخاطبا نفسه) تبّا!

داووس : (مخاطبا نفسه) ليته يصير أصمّ أو هي بكماء.

ميسيس : (مواصلة) فقد أوعز إليها بتربية المولود.

سيمون : (مخاطبا نفسه) وايوبتر*! ماذا أسمع؟ قضي الأمر إن صدقتُ في ما تقول.

لسبية : (مخاطبة ميسيس) شابّ شهم حسب ما تذكرين.

ميسيس : (مخاطبة لسبية) قمّة الشّهامة. لكن هيّا اتبعيني إلى الدّاخل كيلا تتأخّري عليها. (تدخل)

لسبية : (تدخل خلفها إلى بيت غلكريوم) هأنذا أتبعك.

داووس : (مخاطبا نفسه) أيّ علاج أجد الآن لهذه المصيبة؟

سيمون : (مخاطبا نفسه) ماذا؟ هل فقد صوابه؟ من غريبة؟ الآن أفهم: أخيرا أدركت، يا لي من مغفّل.

داووس : (مخاطبا نفسه) ماذا يقول إنّه أدرك؟

غلكريوم: (من الدّاخل) يا يونون* لوكينة* أمدّيني بعونك واحفظيني! أتوسّل إليك*.

سيمون : (مخاطبا داووس) أبهذه السّرعة؟ مضحك: بعدما سمعتُ بأنّي واقف أمام بابها، سارعت بتمثيل دورها. لم تُجِد الإخراج يا داووس من حيث توقيت الأدوار.

داووس : ألي أنا تقول ذلك؟

سيمون : أنسي تلاميذك ما لقّنتهم؟

داووس : لا أدري عمّا تتحدّث.

سيمون : (مخاطبا نفسه) لو بغتني بهذا في غمار عرس حقيقيّ، كم كانت التّمثيليّة ستربكني. الآن صار هو في خطر، أمّا أنا فمركبي يرود مياه الميناء.

المشهد الثّاني (481-532)

لسبية، سيمون، داووس

لسبية : (تخرج مخاطبة شخصا بالدّاخل) حتّى الآن أرى يا أرخليس كلّ المؤشّرات الّتي تبشّر عادة بالبرء مجتمعة لديها. نظّفيها أوّلا ثمّ أعطيها تشرب ما أمرتك وبالمقدار الذي وصفت لك*. سأعود بعد قليل. (مخاطبة نفسها) صبيّ حلو وحقّ كستور* وُلد لبنفيلوس. أدعو الآلهة أن يحفظوه له فهو طيّب الطّبع إذ نزه بنفسه عن إلحاق سوء بهذه الفتاة الطّيّبة. (تنصرف مسرعة)

سيمون : (مخاطبا داووس) وهذا، من يعرفك ولا يظنّه من ابتداعك؟

داووس : كيف ذلك؟

سيمون : لم تكن تصف بالدّاخل أمام صاحبتها ما يلزم عمله للنّفساء، وبعدما خرجت أخذت تمليه من الشّارع* بأعلى صوتها. ألهذا الحدّ تستنوكني يا داووس؟ أأبدو لك إذن أهلا لتخدعني بخزعبلاتك بنحو مفضوح؟

داووس : (مخاطبا نفسه) إنّه وحقّ هرقل* يخدع نفسه وما أنا الّذي أخدعه.

سيمون : أما نهيتك عن فعل ذلك وحذّرتك؟ فهل خشيتَ

عقابي؟ ما الّذي دفعك إلى هذا؟ أتريدني الآن أن أصدّق أنّها وضعت مولودا من صلب بنفيلوس؟

داووس : (مخاطبا نفسه) أفهم من أين أتى خطأه وعندي ما يجب أن أفعل.

سيمون : لماذا لا تتكلّم؟

داووس : ما الّذي يجعلك تظنّ ذلك؟ كما لو لم يتمّ إنذارك من قبل بأنّ الأمور ستجري بهذا النّحو.

سيمون : وهل أخبرني أحد؟

داووس : ألستَ أنت الّذي فهمت أنّ هذا تمثيل في تمثيل؟

سيمون : أنتم تهزؤون منّي.

داووس : لقد أُنذرتَ قطعا وإلاّ فكيف تطرّقت هذه الظّنّة إليك؟

سيمون : كيف؟ ببساطة لأنّي كنت أعرفك.

داووس : كأنّك تزعم أنّ هذا تمّ بتدبيري.

سيمون : أنا واثق من ذلك فعلا.

داووس : أنت يا سيمون لا تعرف حتّى الآن جيّدا من أنا.

سيمون : أنا لا أعرفك؟

داووس : المشكلة أنّي حالما أبدأ أحدّثك بشيء تتصوّر أنّي أخدعك.

سيمون : أخطئ من دون شكّ!

داووس : لهذا السّبب لم أعد أجرؤ وحقّ هرقل* على التّفوّه بشيء أمامك.

سيمون : أنا واثق من شيء واحد: هو أنّ أحدا لم يلد هنا.

داووس : فهمتَها. مع ذلك سيُؤتى بالصّبيّ أمام الباب قريبا. ها أنا أخبرك بهذا مسبقا يا سيّدي لتكون على علم، ولا تزعم في ما بعد أنّ ذلك تمّ بإشارة داووس أو حيله. أريد انتزاع فكرتك هذه عنّي من رأسك تماما.

سيمون : من أين تعلم ذلك؟

داووس : سمعت، وأصدّق ما يقال لي. تتظافر عدّة قرائن لتجعلني أسلّم بهذا الافتراض. ادّعت الفتاة سابقا أنّها حامل من بنفيلوس: كان كذبا. ولمّا رأت الآن إعدادات الزّفاف في البيت على قدم وساق، أرسلت خادمتها فورا لتحضر قابلة، وتحمل معها صبيّا في نفس الوقت. إن لم يتَح لك أن ترى الطّفلّ فلا تغيير في برنامج الزّفاف.

سيمون : ماذا تقول؟ لمّا تفطّنتَ إلى أنّها وضعت تلك الخطّة، فلماذا لم تخبر بنفيلوس فورا؟

داووس : ومن سواي ترى أبعده عنها؟ فكلّنا نعلم كم كان متيّما بحبّها، بينما صار الآن يرغب في زوجة. على أيّة حال دع لي هذه المسألة، وفي الأثناء واصل الإعداد للزّفاف كما تفعل وأرجو أن يكون الآلهة في عوننا.

سيمون : بل عد إلى البيت وانتظرني هناك، وأعدّ ما نحتاج إليه.

(مخاطبا نفسه بعد ذهابه) لم يجرّني السّاعة إلى تصديق أقواله تماما. لا أدري إن كانت كلّها صحيحة. لكن لا يهمّ ذلك. أَهَمّ لديّ وبكثير ما وعدني به ابني. سأقابل الآن خرمس وأطلب ابنته لابني. إن حصلتُ على ذلك فأيّ يوم أفضّل على هذا لإتمام الزّفاف؟ لا شكّ أنّ بوسعي إكراه ابني وبحقّ لو أبى الوفاء بوعده. ها هو تحديدا يأتي ناحيتي في الوقت المناسب.

المشهد الثّالث (533-580)

سيمون، خرمس

سيمون : أقرئ خرمس...

خرمس: واها. إيّاك أنشد.

سيمون : وأنا إيّاك أنشد. جئتَ في الوقت المناسب.

خرمس: سمع منك جماعة حسب قولهم أنّ ابنتي تزفّ اليوم لابنك، فجئت لأعرف مصدر اللّغو: هم أم أنت.

سيمون : اسمع أوّلا منّي بضع كلمات، وستعلم ما أريد منك وما تبحث عنه.

خرمس: ها أنا أسمع فقل ما تريد.

سيمون: أناشدك يا خرمس باسم الآلهة وبصداقتنا الّتي بدأت منذ صغرنا ونمت بتقدّمنا في السّنّ، وبابنتك الوحيدة وابني الّذي تملك كامل القدرة على إنقاذه، أن تساعدني في هذه المشكلة، وأن تسمح بإتمام الزّواج كما كان مقرّرا منذ زمن.

خرمس: ويك، لا تتوسّل، كما لو كان لزاما أن تترجّاني لتحصل منّي على ما تريد. أتتصوّرني اليوم مختلفا عمّن كنت يوم أعطيتها له؟ إن كان في مصلحتهما معا أن يتمّ الزّواج، فمرْ بإحضاره. لكن إن كان فيه لكليهما من الشّرّ أكثر ممّا فيه من

الخير، فأرجوك أن تفكّر معي كما لو كانت ابنتك وكما لو كنتُ أنا أب بنفيلوس.

سيمون : لكن هذا بالتّحديد ما أودّ وأتمنّى يا خرمس ولن أطلب منك شيئا إن لم تُمْله المصلحة.

خرمس: ماذا وراءك؟

سيمون : بين غلكريوم وابني خصومة.

خرمس: أفهم.

سيمون : خصومة كبرى تجعلني آمل الفصل بينهما.

خرمس: هراء.

سيمون : بل الأمر كذلك تماما.

خرمس: بل الأمر وحقّ هرقل* كما أقول لك: خصومات المحبّين صحّة الحبّ*.

سيمون : أرجوك، لنستبِقِ الأحداث ونتدخّلْ ما دام هناك مجال وبينما تطمس الحبَّ خلافاتهما، قبل أن تحجّر قلبيهما بالضّغينة مكائد هؤلاء الماكرات ودموعهنّ الزّائفة: لنزفّها له. فلي أمل يا خرمس أن تغلب في النّهاية وشائج الألفة ورفعة هذا الزّواج تمنّعه وينتزع نفسه بسهولة من هذه الأسقام.

خرمس: ذاك ما يبدو لك. أمّا أنا فما أظنّ ممكنا أن يحتفظ بها مدى الحياة ولا أن أحتمّل أنا الوضع طويلا.

سيمون : كيف تعلم ذلك إن لم تُجَرِّب التّجربة؟

خريمس: لكنّ إجراء تجربة كهذه على ابنتي مسألة خطيرة.

سيمون : كلّ خطر هنا يكمن في إمكانيّة انفصالهما لاحقا لا سمح الآلهة. لكن إن أصلحنا ذات بينهما، فانظر كم في ذلك من الفوائد: أوّلا ستردّ لصديقك ابنه من الضّياع وستجد لنفسك صهرا شريفا ولابنتك زوجا وفيّا.

خريمس: ماذا أقول لك؟ إن اقتنعتَ بأنّ في ذلك نفعا، فلا أريد أن أقف حاجزا دونك وأيّة مصلحة.

سيمون : لقد نظرت إليك دوما بفائق التّقدير كما تستحقّ يا خريمس.

خريمس: لكن أخبرني.

سيمون : ماذا؟

خريمس: من أين تعلم أنّهما متخاصمان؟

سيمون : ذاك ما أخبرني داووس نفسه المطّلع على أسرارهما. وقد أشار عليّ بالتّعجيل بالزّفاف قدر المستطاع. أتظنّه كان سيشير بذلك لو لم يكن يعلم أنّ ابني راغب في الزّواج؟ على أيّة حال ستسمع حالا أقواله بنفسك. (مخاطبا بعض عبيده) اسمعوا، نادوا لي على داووس. (مخاطبا خريمس) هوذا يخرج من الباب.

المشهد الرّابع (580-606)

داووس، سيمون، خريمس

داووس : كنت ذاهبا في طلبك.

سيمون : لم ذلك؟

داووس : لماذا لم يذهب أحد لإحضار العروس؟ فقد حلّ المساء.

سيمون : (مخاطبا خريمس) أتسمع؟ (مخاطبا داووس) تعرف يا داووس، في السّابق خشيت منك أن تفعل بي ما يفعل عامّة العبيد عادة، أن تخدعني بحيل وألاعيب لأنّ ابني يعشق امرأة.

داووس : أنا أفعل مثل ذلك؟

سيمون : ظننت بك، ولفرط خوفي من ذلك أخفيت عنكم ما سأقول لك الآن.

داووس : ماذا؟

سيمون : ستعرف، فالآن صرت أثق بك إلى حدّ ما.

داووس : أخيرا عرفتني على حقيقتي.

سيمون : لم يكن بنيّتي إتمام الزّفاف اليوم.

داووس : كيف؟ لم يكن بنيّتك؟

سيمون : لكنّي لذلك السّبب موّهت عليكم لأختبركم.

داووس : ماذا تقول؟

سيمون : هو كذلك تماما.

داووس : واعجبا لي لم أستطع فهم اللّعبة. يا للخطّة الذّكيّة!

سيمون : اسمع ما سأقول لك: حين أمرتك السّاعة بالذّهاب إلى البيت، لاح لي خريمس في الأوان.

داووس : (مخاطبا نفسه) يا ويلتى! هل حبطت خطّتنا؟

سيمون : فقصصت عليه ما رويت لي قبل ساعة.

داووس : (مخاطبا نفسه) ماذا أسمع؟

سيمون : وطلبت منه ابنته زوجة لابني، وحصلت على حاجتي بمشقّة.

داووس : (مخاطبا نفسه) هلكت.

سيمون : عفوا ماذا قلت؟

داووس : أقول يا حبّذا.

سيمون : لا مانع عنده بعد.

خريمس: سأذهب إلى البيت فورا وأقول لها أن تحضّر نفسها، وأعود لأخبرك. (ينصرف)

سيمون : والآن أطلب منك يا داووس، إذ أنت وحدك الذي حقّقت لي هذا الزّواج...

داووس : أنا وحدي فعلا.

سيمون : استمرّ في جهودك لإصلاح ابني.

داووس : سأفعل وحقّ هرقل* بكلّ تفان.

سيمون : تستطيع ذلك الآن وهو غاضب عليها.

داووس : اطمئنّ.

سيمون : قل لي إذن أين يوجد حاليّا.

داووس : سيكون عجبا إن لم يكن بالبيت.

سيمون : سأذهب إليه وأخبره بكلّ ما قلت لك. (ينصرف)

داووس : (مخاطبا نفسه) تبّا. ماذا يمنعني من الانطلاق إلى الطّاحونة رأسا؟ لم يبق لي مجال للاستعطاف. فقد أربكت كلّ الأمور: خدعت سيّدي وورّطت ابنه في هذا الزّواج، عملت اليوم على تحقيقه بدون رغبة بنفيلوس بل غصبا عنه. شاهت الحيل! لو لم أتدخّل لما حدث أيّ سوء، وها أنا أرى النّتيجة: هلكتي. ليت لديّ هنا ما أرمي من أعلاه بنفسي في هاوية سحيقة.

المشهد الخامس (607-624)

بنفيلوس، داووس

بنفيلوس: (مخاطبا نفسه) أين ذاك المجرم الّذي أودى بحياتي؟

داووس : (مخاطبا نفسه) رحتُ في داهية.

بنفيلوس: (مخاطبا نفسه) أعترف أنّي أستحقّ ما جرى لي، لفرط خؤوري وقلّة حيلتي. كيف سلّمت مصيري لعبد حقير! ها أنا الآن أدفع ثمن حماقتي. لكنّ فعلته لن تمرّ بلا عقاب.

داووس : (مخاطبا نفسه) أعلم أنّي سأسلم مستقبلا من كلّ سوء إن أنج الآن من هذه المهلكة.

بنفيلوس: (مخاطبا نفسه) ماذا أقول الآن لأبي؟ أأنكر رغبتي وقد وعدت السّاعة بالزّواج؟ من أين لي بجسارة كافية لأُقدِم على ذلك؟ لا أدري ماالعمل الآن.

داووس : (مخاطبا نفسه) ولا أنا بالتّحقيق، رغم اجتهادي. سأقول إنّي سأجد حلاّ، لأؤخّر قليلا موعد العقاب.

بنفيلوس: (مناديا على داووس) يا!

داووس : (مخاطبا نفسه) رآني.

بنفيلوس: أنت أيّها الرّجل الصّالح*، ما قولك؟ أترى في أيّ مأزق ورّطتني نصائحك السّديدة؟

داووس : لكنّي سأخلّصك.

بنفيلوس: ستخلّصني؟

داووس : طبعا يا بنفيلوس.

بنفيلوس: كما فعلت السّاعة بلا شكّ.

داووس : بل آمل أفضل من ذلك.

بنفيلوس: أتريدني أن أصدّقك يا لئيم؟ أيمكنك إصلاح وضع محصور ميئوس منه*؟ أأعوّل عليك أنت الّذي ألقيت بي اليوم من وضعي الآمن في متاهة هذا الزّواج؟ أما قلتُ لك إنّ هذا سيحصل؟

داووس : قلتَ.

بنفيلوس: ماذا تستحقّ؟

داووس : أشدّ العقاب. لكن دعني أعُد من غشيتي قليلا: وسأتبيّن المخرج حالا.

بنفيلوس: ليس لي مع الأسف متّسع من الوقت لأعاقبك كما أريد، فعليّ الآن الاحتياط لنفسي قبل الانتقام منك.

الفصل الرّابع

المشهد الأوّل (625-683)

خارينوس، بنفيلوس، داووس

خارينوس: (مخاطبا نفسه) أيصدّق أحد أو يذكر شيئا كهذا، أن يكون الشّرّ تأصّل في البعض إلى درجة أنّهم يسعدون بمآسي الآخرين ويستمدّون من أتراح الغير أفراحهم؟ أيوجد حقّا مثل هؤلاء؟ بل هناك فئة من النّاس أسوأ، لا يمنعهم من الرّفض إلاّ مسكة من حياء، حتّى إذا آن أوان الوفاء بوعودهم كشفوا تحت ضغط الضّرورة عن حقيقتهم ورغم التّحرّج* قهرتهم الظّروف في النّهاية على الرّفض. إذّاك تسمع منهم أسفه وأصفق الأقوال: "من أنت؟ من تكون بالنّسبة لي؟ ولم تطلب منّي ذلك؟ اسمع يا هذا: أقرب صديق لي نفسي." وإذا ذكّرتهم بوعدهم لا يمنعهم الحياء حينئذ وهو لازم، بينما حين لا يلزم، إذّاك يستحيون. لكن ما العمل؟ أأذهب إليه* ترى وأنعي عليه مساءته؟ أأوسعه شتما وتقريعا؟ لقائل أن يقول: "لن يقدّمك ذلك." بل سيقدّمني كثيرا: على الأقلّ سأغيظه وأنفّس عن غيظي.

بنفيلوس: خارينوس، لقد سبّبت لك ولنفسي بدون قصد الهلاك إن لم تتداركنا عناية الآلهة، بدون قصد.

خارينوس: "بدون قصد"؟ كيف ذلك؟ وجدت أخيرا ذريعة لتحلّ

نفسك من الوعد.

بنفيلوس: "أخيرا"؟ ماذا تعني؟

خارينوس: أما زلت تحاول تضليلي بهذه الأقوال؟

بنفيلوس: ماذا تعني؟

خارينوس: بعدما بحت لك بحبّي، صارت تعجبك. يا لشقائي أنا الذي حكمت على قلبك قياسا على قلبي.

بنفيلوس: أنت مخطئ في ظنّك.

خارينوس: ألم يبدُ لك وضعك مسرّة كافية حتّى خدعتَ محبّا بائسا وجررته وراء أمل كاذب؟ خذها.

بنفيلوس: آخذها؟ أنت تجهل في أيّة تعاسة وويلات أعيش، وأيّة هموم سلّط عليّ جلاّدي هذا بنصائحه.

خارينوس: وما الغرابة في ذلك إن كان يقتدي بك؟

بنفيلوس: ما كنتَ تقول ذلك لو كنت تعرفني أو تعرف حقيقة حبّي.

خارينوس: أعرف: تشاددتَ السّاعة مع أبيك، لذا هو غاضب عليك، ولم يستطع حملك على الزّواج بها اليوم.

بنفيلوس: بل الأدهى وما لا تعلم من مصائبي هو أنّ هذا الزّفاف ما أُعدّ لي ولا كان أحد يودّ تزويجي اليوم.

خارينوس: أعلم: أنت أرغمت نفسك بمحض إرادتك!

بنفيلوس: صبرا، ما زلت لا تعلم.

خارينوس: أعلم علم اليقين أنّك ستتزوّجها.

بنفيلوس: لماذا تغيظني؟ اسمع ما سأقول: لم ينفكّ يلحّ عليّ بأن أقول لأبي إنّي أقبل الزّواج، وينصحني ويترجّاني حتّى أقنعني.

خارينوس: من ذاك؟

بنفيلوس: داووس...

خارينوس: داووس؟

بنفيلوس: خلط كلّ الأمور.

خارينوس: وبأيّ قصد؟

بنفيلوس: لا أدري، وإن أعلم أنّي بلا ريب أثرتُ على نفسي غضب الآلهة لمّا استمعت إليه.

خارينوس: أحصل ذلك حقّا يا داووس؟

داووس : حصل.

خارينوس: ماذا تقول يا مجرم؟ أهلكك الآلهة كما تستحقّ فعالك! قل لي لا أبا لك: لو أراد كلّ أعدائه أن يزجّوا به في هذا الزّواج، أكانوا سيقدّمون له غير نصيحتك؟

داووس : لقد أخفقت لكن لم تثبّط همّتي.

بنفيلوس: أعرف.

داووس : لم تنجح هذه الخطّة فلنجرّب غيرها: إلاّ إن كنت تفكّر بأنّا، لفشل خطّتنا الأولى، لن نستطيع تحويل هذا الفشل إلى نجاح.

بنفيلوس: كلاّ، أنا واثق بالعكس أنّك، إن اهتممت بالأمر، فستزجّ بي في زيجتين لا واحدة.

داووس : واجبي يا بنفيلوس أن أستعمل في سبيل خدمتك كلّ الوسائل وأجتهد ليل نهار، بل وأجازف بحياتي، إلى أن أوفّق. وأنت واجبك، إن وقع ما يخالف ما أمّلنا، أن تغفر لي. لم تفلح محاولتي، لكنّي أعمل بجدّ. وإلاّ فجدٌ لك أفضل منّي، واصرفني.

بنفيلوس: أودّ ذلك: أعدني إلى الوضع الأصليّ الّذي تسلّمتني فيه.

داووس : سأفعل.

بنفيلوس: لكنّ المسألة مستعجلة.

داووس : دعني أفكّر...لكن مهلا، باب بيت غلكريوم يصرّ.

بنفيلوس: ذاك لا يعنيك.

داووس : ها أنا أبحث.

بنفيلوس: ألم تجد بعد؟

داووس : بعد قليل أقدّم لك الحلّ الّذي أجد.

المشهد الثّاني (684-715)

ميسيس، بنفيلوس، خارينوس، داووس

ميسيس : (مخاطبة غلكريوم بالدّاخل) حالا، أينما يكن، سأحتال لأجد وأجلب لك حبيبك بنفيلوس: كفّي فقط، يا حبّة قلبي، عن تعذيب نفسك.

بنفيلوس: ميسيس.

ميسيس : من؟ أهو أنت يا بنفيلوس؟ ظهرت في الوقت المناسب.

بنفيلوس: ما الخبر؟

ميسيس : أمرتني سيّدتي بأن أطلب منك الحضور إليها فورا إن كنت تحبّها. قالت إنّها تريد أن تراك.

بنفيلوس: (مخاطبا نفسه) يا ويلتي! اكتملت مصيبتي. (مخاطبا داووس) أهكذا تتركنا أنا وإيّاها نتخبّط بسببك في الشّقاء والهموم؟ فإمّا أرسلت في طلبي لأنّها بلا شكّ سمعت بالزّفاف الّذي يتمّ إعداده لي.

خارينوس: والّذي كان في منتهى السّهولة حقّا تركه يستريح، لو بقي هذا مستريحا.

داووس : (مخاطبا خارينوس) واصل، لا عليك، إن لم يكن مهتاجا

من تلقاء نفسه بنحو كاف فاستثره*.

ميسيس : (مخاطبة بنفيلوس) الأمر كذلك فعلا وحقّ بولكس*، والمسكينة لذلك السّبب الآن في أسى مرير.

بنفيلوس: أقسم لك يا ميسيس بكلّ الآلهة أنّي لن أتخلّى عنها أبدا ولوكان عليّ أن أعادي كلّ النّاس. هي من أحبّ فؤادي وقد أحبّتني وطباعنا تتّفق فبعدًا لمن يريدون تفريقنا. لا أحد سوى الموت يستطيع انتزاعها منّي.

ميسيس : الآن عادت إليّ الرّوح.

بنفيلوس: ليس ردّ أبولّون* نفسه أصدق ممّا أقول. إن أمكن التّوصّل إلى ألاّ يظنّني أبي مسؤولا عن عدم إتمام هذا الزّفاف فنعمّا، وإلاّ فسأجعله بسهولة يعتقد أنّ ذلك كان يتوقّف عليّ. (مخاطبا خارينوس) كيف أبدو؟

خارينوس: بائسا، ومثلك أنا.

داووس : ما زلت أبحث عن حلّ.

بنفيلوس: أنت رائع. أعرف ما تحاول تحقيقه.

داووس : ثق أنّي سأتدبّر لك الأمر.

بنفيلوس: أنا بحاجة إلى الحلّ حالا.

داووس : وها أنا وجدته.

خارينوس: ما هو؟

داووس : له هو لا لك وجدته: اعلمْ ذلك كيلا تخطئ.

خارينوس: ذاك يكفيني.

بنفيلوس: ماذا ستفعل؟ قل أرجوك.

داووس : أخشى ألاّ يكفي ما بقي من هذا اليوم لأنفّذ خطّتي. فلا تظنّنّ عندي متّسعا من الوقت لأعرضها عليك. فابتعدا فورا من هنا، لأنّكما تعوقان حركتي.

بنفيلوس: أنا ذاهب لأراها. (يذهب ويدخل بيت غلكريوم)

داووس : وأنت؟ إلى أين ستنصرف؟

خارينوس: أتريد أن أقول لك الحقيقة؟

داووس : طبعا، هيّا تكلّم. (مخاطبا نفسه) ها هو سيبدأ في رواية بلا نهاية.

خارينوس: ماذا سيحصل لي؟

داووس : أما يكفيك أيّها السّفيه أنّي سأعطيك مهلة إضافيّة بتأجيل زواجه؟

خارينوس: لكن أريد أن تكفل لي...

داووس : ماذا؟

خارينوس: الزّواج بها.

داووس : طلب سخيف.

خارينوس: تفضّلْ بالمجيء إلى بيتي إن استطعت.

داووس : لماذا أجيء إليك؟ لا يعنيني أمرك.

خارينوس: مع ذلك، أرجوك، متى استطعت...

داووس : لا عليك، سآتي.

خارينوس: إن تأت تجدني بالبيت. (ينصرف)

داووس : (يتوجّه نحو بيت غلكريوم) أنت يا ميسيس انتظريني هنا لحظة ريثما أخرج.

ميسيس : لماذا*؟

داووس : لعمل ضروريّ.

ميسيس : عجّل إذن.

داووس : أقول لك: في لحظة أكون عندك. (يدخل بيت غلكريوم)

المشهد الثّالث (716-739)

ميسيس، داووس

ميسيس : (مخاطبة نفسها) أما لأحد من خلّة دائمة بحقّ الآلهة! كنت أرى في بنفيلوس الخير الأعظم لسيّدتي: صديقا وحبيبا وزوجا يعوّل عليه في كلّ آن. والآن يا لما تقاسي المسكينة بسببه من المشقّة، ذائقة من الويلات أضعاف ما ذاقت من المسرّات. لكن هوذا داووس يخرج. لطفا، ما هذا يا عزيزي؟ أين تحمل هذا الصّبيّ؟

داووس : أنا الآن بحاجة إلى ذاكرتك الثّابتة وفطنتك لهذا الموقف.

ميسيس : ماذا ستصنع؟

داووس : تناوليه منّي بسرعة وضعيه أمام باب بيتنا.

ميسيس : عفوا، هكذا على الأرض؟

داووس : خذي من المذبح أغصان زيتون وافرشيها تحته.

ميسيس : لماذا لا تفعل ذلك بنفسك؟

داووس : لأستطيع إن اضطررتُ للقسم لسيّدي على أنّي لم أضعه، أن أحلف بصريح العبارة.

ميسيس : أفهم. ها قد تملّكتك تقوى لم نعتدْها فيك. هاته.

داووس : هيّا تحرّكي بسرعة لتفهمي ما سأفعل من بعد. وايوبتر*!

ميسيس : ما دهاك؟

داووس : وصل أب الخطيبة. سأتخلّى عن الخطّة الّتي وضعتها أوّلا.

ميسيس : لا أفهم ماذا تقول.

داووس : ولذا سأتظاهر بالقدوم من هنا على اليمين، أمّا أنت فاحرصي على أن توافق أقوالك أقوالي.

ميسيس : لا أفهم شيئا ممّا تفعل. لكن قد تحتاجون إلى مساعدتي، ونظرا إلى أنّك أفهم منّي، سأبقى، حتّى لا أعوق مأربكم.

المشهد الرّابع (740-795)

خريمس، ميسيس، داووس

خريمس: (مخاطبا نفسه) هأنذا أعود بعدما أعددت اللاّزم لزفاف ابنتي، لأطلب منهم إحضارها. لكن ماذا أرى؟ هذا غلام وحقّ هرقل*. (مخاطبا ميسيس بعدما رآها) اسمعي يا امرأة، هل أنت وضعته؟

ميسيس : (مخاطبة نفسها) أين هو الآخر؟

خريمس: ألا تردّين عليّ؟

ميسيس : (مخاطبة نفسها) لا أرى له أثرا في أيّ مكان. يا لتعاستي! تركني ذلك الرّجل وراح.

داووس : (مخاطبا نفسه وكما لو كان آتيا من مكان ما) بحقّ الآلهة، أيّ هرج ومرج في القصبة*! وكم من الخصام بين النّاس! وما أغلى موادّ التّموين! (مخافتا) لا أدري أيّ كلام آخر أقول.

ميسيس : لم تركتني هنا لوحدي؟

داووس : كيف؟ ما هذه الحكاية؟ ميسيس، من أين جاء هذا الصّبيّ؟ ومن أتى به إلى هنا؟

ميسيس : أتملك كلّ مداركك، أنت الّذي تسألني ذلك؟

داووس : ومن أسأل ترى وأنا لا أرى هنا أحدا سواك؟

خريمس : (مخاطبا نفسه) عجبا، ترى من أين أتى؟

داووس : (مخاطبا ميسيس) ألا تنوين الإجابة عمّا طلبت منك؟ (يقرصها لتسايره)

ميسيس : أي.

داووس : (مخافتا) انزاحي إلى اليمين.

ميسيس : أنت تهذي: ألست أنت بنفسك...

داووس : (مخافتا) إيّاك أن تقولي كلمة واحدة غير ما أطلب. (رافعا صوته) تتأبّين؟ من أين؟ قولي بوضوح.

ميسيس : من بيتنا.

داووس : هاها! عجيب أن تتصرّف المومس* بمثل هذا الاستهتار.

خريمس : (مخاطبا نفسه) هذه خادمة من بيت فتاة أندروس* إن صدق ظنّي.

داووس : ألهذا الحدّ نبدو لكم حريّين بأن تسخروا منّا بهذا النّحو؟

خريمس : (مخاطبا نفسه) جئتُ في الأوان.

داووس : هيّا، خذي هذا الطّفلّ من أمام الباب بسرعة. امكثي هنا، حذار أن تبتعدي من هذا المكان.

ميسيس : قاتلك الآلهة! أهكذا ترهب امرأة مسكينة؟

داووس : أتسمعين ما أقول لك أم لا؟

ميسيس : ماذا تريد منّي؟

داووس : وتسألينني فوق ذلك؟ قولي: لمن الطّفلّ الّذي وضعتِ هنا؟ هيّا أخبريني.

ميسيس : ألا تعرف لمن هو؟

داووس : دعيك ممّا أعرف وأجيبي على ما أسألك.

ميسيس : لكم.

داووس : لمن منّا بالتّحديد؟

ميسيس : لبنفيلوس.

داووس : (متظاهرا بالاستنكار) ماذا تقولين؟ لبنفيلوس؟

ميسيس : وهل ستزعم أنّه ليس له؟

خريمس : (مخاطبا نفسه) كنت محقّا في تهرّبي دوما من هذا الزّواج.

داووس : أيّة جريمة جديرة بأشدّ عقاب!

ميسيس : لم تزعق هكذا؟

داووس : أليس هذا هو الصّبيّ الّذي رأيته مساء أمس جيء به إلى بيتكم؟

ميسيس : يا لهذا المفتري!

داووس : بل الأمر صدقاً كما أقول، فقد رأيت كنطارة تحمل صرّة كبيرة.

ميسيس : حمدا للآلهة وحقّ بولكس* أن حضرت الولادة شاهدات حرائر!

داووس : سيّدتك لا تعرف جيّدا الرّجل الّذي ابتدعتُ هذه الحيلة الرّخيصة للتّأثير عليه: "لمّا يرى خريمس الطّفلّ ملقى أمام الباب، سيرفض إعطاء ابنته." بل ليزيدنّه ذلك إصرارا على إعطائها وحقّ هرقل*.

خريمس : (مخاطبا نفسه) كلاّ، لن يفعل وحقّ هرقل*.

داووس : والآن اسمعي لتكوني على علم، إن لم ترفعي فورا هذا الطّفلّ لأدحرجنّه إلى وسط الطّريق ولألحقنّك به وسط الأوحال.

ميسيس : أنت يا رجل وحقّ بولكس* مخمور.

داووس : كذبة تدفع أخرى، أسمع الآن همساتهم بأنّها مواطنة أتّيكيّة*.

خريمس : (مخاطبا نفسه) تبّا!

داووس : "سيُرغم بمقتضى القانون على الزّواج".

ميسيس : ويحك، أتدّعي أيضا أنّها ليست مواطنة؟

خريمس : (مخاطبا نفسه) كدت أقع، دون أن أشعر، في ورطة عجيبة غريبة.

داووس : من يتكلّم هنا؟ آ، هو أنت يا خريمس، جئت في أوانك: اسمع.

خريمس : سمعت كلّ شيء.

داووس : أسمعت حقّا كلّ أقوالنا؟

خريس : أقول لك سمعت منذ البداية.

داووس : قل أرجوك. أسمعت كلّ ما قالت؟ تبّا للمجرمين! يجب أخذها من هنا رأسا إلى دولاب التّعذيب. هوذا صاحبكم فلا تظنّي أنّك تتحايلين على داووس.

ميسيس : واشقوتي. ما كذبتُ وحقّ بولكس* أيّها الشّيخ الجليل.

خريس : أعرف الحكاية كلّها. (مخاطبا داووس) هل سيمون في البيت؟

داووس : نعم. (ينصرف خريس إلى بيت سيمون)

ميسيس : لا تمسسني يا ألعبان. لو لم تفعل غلكريوم كلّ هذا...

داووس : ويحك يا حمقاء! ألا تعرفين ماذا حصل الآن؟

ميسيس : وكيف لي أن أعرفه؟

داووس : ذاك هو الصّهر. ولم تكن هناك طريقة أخرى لإعلامه بما نريد أن يعلم.

ميسيس : لولا أخبرتني مسبقا.

داووس : أتظنّين الفرق قليلا بين تصرّف تلقائيّ على الطّبيعة. وآخر مصطنع؟

المشهد الخامس× (796-819)

كريتون، ميسيس، داووس

كريتون : (مخاطبا نفسه) قيل لي في هذا الشّارع يوجد مسكن خريسيس الّتي كانت توثر كسب ثروة طائلة بطريقة غير شريفة على العيش فقيرة في وطنها: بموتها تؤول إليّ أموالها. لكنّي أرى شخصين سأسألهما. (مخاطبا ميسيس وداووس) سلاما.

ميسيس : عفوا من أرى؟ أليس هذا كريتون ابن عمّ خريسيس؟ بل هو بعينه.

كريتون : ميسيس! سلاما.

ميسيس : سلامتك يا كريتون!

كريتون : هكذا إذن فارقتنا خريسيس؟

ميسيس : وتركتنا وحقّ بولكس* في التّعاسة.

كريتون : ما أخباركم؟ كيف الحال هنا؟ أكلّ شيء على ما يرام؟

ميسيس : حالنا؟ نعيش هكذا وكما يقال كيفما نستطيع. ما دمنا لا نستطيع أن نعيش كيفما نحبّ.

كريتون : وبخصوص غلكريوم؟ هل وجدتُ أبويها؟

ميسيس : يا ليت!

كريتون : لم تجدُهما بعد؟ لم آت معي باليمن. وحقّ بولكس*

لــو علمتُ بذلك لما جــررت قدمي إلى هنا. كان النّــاس يظنّونها، وهي نفسها تعتبرها، أختها فسيؤول إليها ما كانت تملك. أحريّ بــي أنا الغريــب أن أرفع عليها قضيّة وأمثلــةُ آخرين تنذرني بمدى ســهولتها وجدواها؟ فــي نفس الوقت أعتقد أنّهــا حتما صارت تعرف صديقا وسندا، إذ كانت يافعة لمّا ذهبت من عندنا. سيقال إنّي أفّاك وشــحّاذ طامع في الميراث. ثمّ إنّي لا أرغب في اغتصاب حقّها.

ميســيس : مرحى يا خير الضّيفان! أما وحقّ بولكس* إنّك لعلى خلقك القديم يا كريتون.

كريتون : خذيني إليها بما أنّي جئت لأراها.

ميسيس : بكلّ سرور. (يدخلان بيت غلكريوم)

داووس : (مخاطبا نفســه) فلأتبعهما: لا أريد أن يراني الشّــيخ في هذا الوقت.

الفصل الخامس

المشهد الأوّل (820-841)

خريمس، سيمون

خريمس : لقد ثبتت لديك صداقتي يا سيمون بقدر واف، وعرّضت نفســي إلى عدد كاف من المخاطر، فكفّ أرجوك عن إلحافك. ففي سعيي إلى تلبية رغبتك كدت أودي بحياة ابنتي.

سيمون : بل الآن أكثر من أيّ وقت أطلب منك وأترجّاك يا خريمس أن تثبت لي فعلا ما وعدتني قبلُ قولا.

خريمــس : انظر ما أظلمك مقابل تفانــيّ في خدمتك، فلتحقيق بغيتك لا تفكّر في حدود كياســتي ولا فــي ما تلتمس منّي، فلو فكّرت لكففت عن إرهاقي بمساءاتك.

سيمون : أيّة مساءات؟

خريمــس : أتســألني؟ دفعتني إلــى إعطاء ابنتي لفتى مشــغول بحبّ ســواها عازف عن مســألة الزّواج، زاجّا بها في زيجة هشّــة حبلــى بالخلافات لتعالج بشــقوتها ومشــقّتها ولــدك. نلتَ ما طلبتَ، وســايرتُك طالما قبل الوضع ذلك لكنّه الآن لم يعد يقبل: فاقبــلْ بذلك. يقال إنّ الفتاة مواطنة من هنا وقد وضعت مولودا ففكّنا.#

سيمون : أناشدك بالآلهة ألاّ تسمح لنفسك إلى تصديق أولئك الّذين يفيدهم أن يكون أسوأ الفتيان. فلإحباط زواجه اختلقوا وصمّموا كلّ تلك الإشاعات. وبمجرّد إزالة السّبب الّذي يفعلون ذلك لأجله سيكفّون.

خريمس : أنت مخطئ: فقد رأيت بنفسي الخادمة في مشادّة مع داووس.

سيمون : أعلم.

خريمس : لكن بجدّ وصدق لا مجرّد تمثيل، إذ لم يكونا يعلمان بوجودي هناك.

سيمون : أصدّقك وقد نبّهني داووس منذ مدّة إلى أنّهم سيفعلون ذلك ولا أدري لماذا نسيت اليوم أن أخبرك رغم رغبتي في إعلامك

المشهد الثّاني (842-871)

داووس، خريمس، سيمون، دورمون

داووس : (مخاطبا شخصا داخل بيت غلكريوم وهو يخرج) ليطمئنّ الآن بالك...

خريمس : (مخاطبا سيمون) ها هو داووس. عليك به.

سيمون : من أين خرج؟

داووس : (مواصلا) بعوني وعون ذاك الغريب...

سيمون : يا للمصيبة!

داووس : (مخاطبا نفسه) ما رأيت أحدا يصل في وقت أنسب.

سيمون : يا للألعبان! من يمدح الآن ترى؟

داووس : (مخاطبا نفسه) بات الآن كلّ شيء في أمان.

سيمون : (مخاطبا نفسه) ماذا أنتظر لأخاطبه؟

داووس : (مخاطبا نفسه) تبّا، هذا سيّدي: ما العمل؟

سيمون : أهلا بعبدنا الصّالح.

داووس : عفوا، هو أنت يا سيمون، وهذا أنت أيضا يا خريمس العزيز. كلّ شيء جاهز في البيت.

سيمون : ذلك من حسن اعتنائك.

داووس : أرسلُ لإحضارها متى تشاء.

سيمون : حسنا. ذاك ما ينقصنا الآن فعلا. لكن أجبني: أيّ شأن لك هناك؟

داووس : لي أنا؟

سيمون : تماما.

داووس : أنا؟

سيمون : نعم أنت طبعا.

داووس : دخلت هناك قبل قليل...

سيمون : كما لو سألتك متى دخلت.

داووس : مع ابنك.

سيمون : وهل بنفيلوس بالدّاخل؟ يا لعذابي ويا لشقائي! ألم تقل لي أيّها الشّقيّ إنّهما متخاصمان؟

داووس : هما كذلك فعلا.

سيمون : إذن ماذا يصنع عندها؟

خريمس : ماذا تظنّه يصنع؟ بالتّأكيد يتخاصم معها!

داووس : بل ستسمع منّي الآن يا خريمس مخزية أدهى. وصل السّاعة شيخ لا أدري من هو، يا له من حُوَل ماكر صفيق، إن رأيتَ وجهه بدا لك عظيم الشّأن. يلوح الجدّ الحازم في وجهه والصّدق في أقواله.

سيمون : ماذا تحمل؟

داووس : لا شيء حقّا، سوى ما سمعته يقول.

سيمون : أخبرنا إذن ماذا يقول.

داووس : يؤكّد أنّ غلكريوم مواطنة أتّيكيّة*.

سيمون : كيف؟ (مناديا) دورمون، دورمون.

داووس : ما الأمر؟

سيمون : دورمون.

داووس : أسمعني.

سيمون : إن أضفت كلمة واحدة...

داووس : اسمع أرجوك.

دورمون : (قادما من بيت سيمون) ماذا تريد؟

سيمون : ارفعه من وسطه وخذه إلى البيت بأسرع ما يمكن.

دورمون : من؟

سيمون : داووس.

داووس : لماذا؟

سيمون : لأنّ ذاك يروق لي. أقول لك اقبض عليه.

داووس : ماذا فعلتُ؟

سيمون : اقبض عليه.

داووس : إن اكتشفتَ أنّي كذبت عليك، فاقتلي.

سيمون : لا أسمع شيئا.

دروموں : سأدعّك كما ينبغي!

داووس : حتّى إن بان صدقي؟

سيمون : حتّى. (مخاطبا دروموں) اعتن بشدّ وثاقه وكذلك- أتسمع؟- قيّد أطرافه الأربعة. هيّا أسرع. (مخاطبا داووس) وحقّ بولكس* لأريّنكما اليوم، إن عشتُ، كيف تخدع سيّدك، وهو أباه.

خريمس : كفى، لا تفرط في القسوة.

سيمون : أوّاه يا خريمس! أهذا برّ الابن؟ ألا ترثي لحالي؟ لكم لقيت من ولدي هذا رهقا. (مناديا باتّجاه بيت غلكريوم) بنفيلوس! هيّا اخرج يا بنفيلوس! ألا تستحي؟

المشهد الثّالث (872-903)

بنفيلوس، سيمون، خريمس

بنفيلوس : (يخرج من بيت غلكريوم) من يطلبني؟ (مخاطبا نفسه بعد رؤية سيمون) ياويلتى! هذا أبي.

سيمون : ماذا تقول يا أكثر البنين...

خريمس : أفّ قل له بالأحرى المسألة رأسا ودعك من الّشتائم.

سيمون : كما لو كان يمكن نعت فعاله بالشّدّة الّتي تناسب جسامتها؟ (لبنفيلوس) أتزعم الآن أنّ غلكريوم مواطنة؟

بنفيلوس : ذاك ما يؤكّدون.

سيمون : "ذاك ما يؤكّدون"؟ يا للسّفاهة الموصوفة! هل يفكّر ترى في ما يقول؟ وهل يستحي من فعله؟ انظر إلى وجهه، هل ترى فيه أيّة علامة للخجل؟ أيبلغ به الخور حدّ التّمسّك بها، رغم الأخلاق العامّة والقانون وإرادة أبيه، في أحطّ درجات الخزي؟

بنفيلوس : ما أتعسني!

سيمون : الآن أخيرا تدرك ذلك يا بنفيلوس؟ منذ أمد، يوم صمّمت في قرارة نفسك على تحقيق ما تشتهي بأيّة طريقة، يومذاك صحّ عليك قولك هذا. لكن ما شأني؟ لمَ أبتئس وأعذّب نفسي؟ لمَ أكدّر شيخوختي بجنونه؟ أعليّ أن أتحمّل مغبّة

أخطائه؟ ليحتفظ بها، ليرح، ليعش معها*.

بنفيلوس : أبي!

سيمون : ماذا، "أبي"؟ كما لو كنت تحتاج إلى هذا الأب. وجدت غصبا عن أبيك* بيتا وزوجة وبنين. وجئت بشهود ليقولوا إنّها مواطنة: غلبتَ.

بنفيلوس : أبي، أتأذن لي ببضع كلمات؟

سيمون : ماذا ستقول لي؟

خريمس : استمع إليه مع ذلك يا سيمون.

سيمون : أنا أستمع إليه؟ وما تراني سأسمع يا خريمس؟

خريمس : دعه يتكلّم يا أخي.

سيمون : هيّا ليقل، لا مانع عندي.

بنفيلوس : أعترف أنّي أحبّها، وإن كان في ذلك ذنب فأنا أعترف به كذلك. لك أفوّض أمري يا أبي: حمّلني ما شئت من الشّدائد، مرني بما تشاء. تريد أن أتزوّج؟ تريد أن أتخلّى عنها؟ سأتحمّل قدر مستطاعي. أترجّاك فقط ألاّ تظنّني أرسلت ذلك الشّيخ، اسمح لي بأن أثبت براءتي وأحضره هنا أمامك.

سيمون : تحضره؟

بنفيلوس : اسمح لي يا أبي.

خريمس : طلب معقول: ائذن له.

بنفيلوس : أترجّاك أن تسمح.

سيمون : سمحت. (يخرج بنفيلوس) أحبّ أيّ شيء بشرط ألاّ أكتشف أنّه يخدعني بهذا الخصوص يا خريمس.

خريمس : في العقاب اليسير على الذّنب الكبير للأب كفاية.

المشهد الرّابع (904-956)

كريتون، خريمس، سيمون، بنفيلوس

كريتون : (مخاطبا بنفيلوس وهو يخرج معه من بيت غلكريوم) كفّ عن ترجّيّ. فأيّ واحد من هذه الأسباب يكفي لأفعل ما تطلب: أنت، ولأنّها الحقيقة، وما أحبّ لغلكريوم نفسها.

خريمس : أكريتونَ الأندريّ* أرى؟ هو بدون شكّ.

كريتون : سلاما، يا خريمس.

خريمس : ماذا أتى بك إلى أثينة على غير عادتك؟

كريتون : ظروف. لكن أهذا سيمون؟

خريمس : هو نفسه.

كريتون : سيمون...

سيمون : أعنّي تبحث؟ قل لي يا رجل، أتزعم أنّ غلكريوم مواطنة من هنا؟

كريتون : وهل تنكر ذلك؟

سيمون : ألهذا الغرض إذن جئت إلى هنا؟

كريتون : لماذا؟

سيمون : تسألني؟ أتفعل هذا بلا عقاب؟ أجرّ إلى الفساد شبّانا

أغرارا كرام التّربية وتغرّر بهم بإغرائهم وإغوائهم بالوعود*؟

كريتون : أأنت بكامل مداركك؟

سيمون : وتثبّت علاقاتهم مع المومسات* بالزّواج؟

بنفيلوس : (مخاطبا نفسه) يا ويلتاه! أخشى أن يندحر أمامه الغريب.

خريمس : لو كنت تعرفه يا سيمون معرفة كافية لما حكمت عليه مثل هذا الحكم: إنّه رجل فاضل.

سيمون : أرجل فاضل هذا؟ أمن قبيل الصّدفة إذن أن يأتي اليوم، في موعد الزّفاف تحديدا، بينما لم يأت إلى هنا من قبل أبدا؟ أيمكن تصديق ذلك يا خريمس؟

بنفيلوس : (مخاطبا نفسه) عندي، لولا خوفي من أبي، ما أذكر له لتعليل ذلك بنحو مقنع.

سيمون : مفترٍ!

كريتون : كيف؟

خريمس : هو كذلك يا كريتون فتمالك نفسك.

كريتون : لينتبه إلى تصرّفه. إن استمرّ في قول ما يروق له سيسمع منّي ما لا يروق له. (مخاطبا سيمون) أأنا أدير ذلك أو أهتمّ به؟ أنت لا تصبر على ما أصابك! يمكن التّأكّد الآن إن كان ما أقول صدقا أو كذبا سمعته. منذ سنوات قذف البحر على شطآن أندروس* رجلا أتّيكيّا* بعد تحطّم سفينته ومعه هذه الفتاة وهي إذّاك طفلة صغيرة فبادر في عوزه التّامّ باللّجوء إلى

والد خريسيس.

سيمون : ها هو يبدأ في خرافته.

خرمس : دعه يكمل.

كريتون : لكن ما له يقاطعني هكذا؟

خرمس : واصل.

كريتون : أصغ إليّ. أحد أقاربي هو الّذي آواه، ومنه سمعت أنّ الرّجل أتّيكيّ*، وفي بيته مات.

خرمس : ما اسمه؟

كريتون : اسمه فورا؟ فانيا؟ ويح نفسي، أظنّه وحقّ هرقل* كان يدعى فانيا. أنا متأكّد أنّه كان يقول إنّه من حيّ رمنوس*.

خرمس : وايوبتر*!

كريتون : نفس هذه الوقائع يا خرمس سمع بها عدّة أناس آخرين في أندروس*.

خرمس : (مخاطبا نفسه) ليت الأمر يكون ما آمل. (مخاطبا كريتون) لكن أخبرني ماذا عن الفتاة؟ أكان يقول إنّها بنته؟

كريتون : لا.

خرمس : لمن تكون إذن؟

كريتون : بنت أخيه.

خرمس : هي ابنتي من دون شكّ.

كريتون : ماذا تقول؟

سيمون : ماذا تقول؟

بنفيلوس : (مخاطبا نفسه) افتح أذنيك يا بنفيلوس!

سيمون : ما الّذي يجعلك تظنّ ذلك؟

خرمس : فانيا ذاك أخي.

سيمون : عرفته في ما مضى، وأعلم أنّه أخوك.

خرمس : فرّ يوما من الحرب هنا يقصدني في آسية فخشي أن يترك البنت. وهذه أوّل مرّة أسمع بما وقع له بعد.

بنفيلوس : (مخاطبا نفسه) لا أكاد أتمالك نفسي، فقد خضّني الخوفُ والرّجاء والفرح* من هذا التّطوّر العجيب المفاجئ والمواتي.

سيمون : يسرّني من شتّى النّواحي أنّك وجدت ابنتك أخيرا.

بنفيلوس : صدقت يا أبي.

خرمس : لكن ما زال هاجس يكدّرني.

بنفيلوس : (مخاطبا نفسه) أفّ لك ولهوسك: إنّك لتبحث عن عجرة في قصبة.

كريتون : ما ذلك الهاجس؟

خرمس : الاسم غير مطابق.

كريتون : كان لها وحقّ هرقل* اسم آخر في صغرها.

خريمس : ما هو يا كريتون؟ ألا تذكره؟

كريتون : ها أنا أبحث عنه.

بنفيلوس : (مخاطبا نفسه) أأقبل أن تحول ذاكرته دون اكتمال بهجتي، والحال أنّ بوسعي مساعدة نفسي في هذا الباب؟ (مخاطبا خريمس) اسمع يا خريمس، الاسم الّذي تبحث عنه فاسيبولة.

خريمس : هي بعينها.

كريتون : ذاك بالفعل اسمها الأصليّ.

بنفيلوس : سمعته منها مباشرة ألف مرّة.

سيمون : أتصوّر أنّك تتصوّر مدى فرحتنا كلّنا بذلك يا خريمس.

خريمس : وحقّ الآلهة أنا واثق من ذلك.

بنفيلوس : ما تبقّى يا أبي هو...

سيمون : منذ مدّة جعلني الموقف نفسه أميل لمصالحتك.

بنفيلوس : يا أحلى أب! (مخاطبا خريمس) بشأن المرأة الّتي ارتضيتها زوجة، أيغيّر خريمس شيئا من رأيه؟

خريمس : طلبك لا أفضّل عليه أيّ طلب، إلاّ إن كان لأبيك في الموضوع رأي آخر.

بنفيلوس : بل هو على نفس الرّأي.

سيمون : بالتّحقيق.

خريمس : المهر* يا بنفيلوس عشر وزنات*.

بنفيلوس : أقبله.

خريمس : دعني الآن أسرع إلى ابنتي. تعال معي يا كريتون فما أظنّني سأعرفها. (يذهبان إلى بيت غلكريوم).

سيمون : (مخاطبا بنفيلوس) لمَ لا تطلب المجيء بها إلينا؟

بنفيلوس : اقتراح وجيه، سأكلّف داووس بالأمر فورا.

سيمون : لا يمكنه ذلك.

بنفيلوس : لماذا؟

سيمون : لأنّ لديه شغلا أهمّ.

بنفيلوس : ما هو؟

سيمون : إنّه مقيّد.

بنفيلوس : أبي، ما كان تقييده جيّدا.

سيمون : ما هكذا أمرت بذلك*.

بنفيلوس : أرجوك يا أبي: مر بفكّ وثاقه.

سيمون : فليكن.

بنفيلوس : لكن عجّلْ.

سيمون : ها أنا ذاهب إلى البيت. (ينصرف)

بنفيلوس : يا له من يوم مبارك سعيد.

المشهد الخامس (957-981)

خارينوس، بنفيلوس، داووس

خارينوس: (مخاطبا نفسه) هأنذا أتيت لأعلم ما يفعل بنفيلوس. وها هو أمامي.

بنفيلوس : (مخاطبا نفسه) قد يحسبني أحد لا أحسب هذا حقيقة، لكن يروق لي الآن التّفكير بأنّه حقيقة. أفكّر أنّ حياة الآلهة أبديّة لأنّ مسرّاتهم تُكسبهم الخلود. فقد اكتسبت الخلود إن لم يمسّ مسرّتي كدر. لكنّ بي رغبة جامحة في لقاء من أقصّ عليه كلّ ذلك.

خارينوس: (مخاطبا نفسه) لماذا هو فرح يا ترى؟

بنفيلوس : (مخاطبا نفسه) أرى داووس. لا أحبّذ عليه أحدا، فأنا أعلم أنّه وحده سيهتزّ بكامل كيانه* لفرحي.

داووس : (مخاطبا نفسه) أين بنفيلوس يا ترى؟

بنفيلوس : (مناديا) داووس.

داووس : من يناديني؟

بنفيلوس : أنا.

داووس : بنفيلوس.

بنفيلوس : ألا تدري ما جرى لي؟

داووس : لا، ولكنّي أدري ما جرى لي أنا.

بنفيلوس : وأنا أيضا أدريه.

داووس : شاء القدر كما يقع للنّاس عادة أن تعلم بالشّرّ الّذي لقيتُ قبل أن أعلم بالخير الّذي أتاك.

بنفيلوس : وجدت غلكريوم أخيرا أبويها.

داووس : طوبى لها.

خارينوس: (مخاطبا نفسه) ماذا؟

بنفيلوس : أبوها من أعزّ أصدقائنا.

داووس : من؟

بنفيلوس : خرمس.

داووس : تتكلّم بجدّ؟

بنفيلوس : لم يعد هناك أيّ مانع من زواجنا.

داووس : أهو يحلم بما تمنّى في يقظته؟

بنفيلوس : أمّا المولود، يا داووس...

داووس : توقّف أرجوك. (مخاطبا نفسه) هو وحده يحبّه الآلهة.

خارينوس: (مخاطبا نفسه) بُهتُ إن كان ما يقول حقّا. سأخاطبه. (يدنو ويتنحنح)

بنفيلوس : من الرّجل؟ خارينوس، وصلتَ في أوانك.

خارينوس: هنيئا لك.

بنفيلوس : أسمعت كلامنا؟

خارينوس: كلّه. ولي عندك رجاء: أن تذكرني في ساعة سعدك: صار خريس صهرك، وأنا واثق أنّه سيفعل كلّ ما تطلب منه.

ملاحظة للمترجم: توجد هنا روايتان للمشهد الختاميّ:

البديل الأوّل

بنفيلوس : لست أنساك. من ناحيتي طال بي انتظار خروجه، فهيّا اتبعني إلى هناك. هو الآن داخل البيت مع ابنته. أمّا أنت يا داووس فأسرع إلى بيتنا وأحضر العبيد لينقلوها. ويحك لم تقف بلا حراك؟ ماذا تنتظر؟

داووس : أنا ذاهب. هلاّ انتظرتما حتّى يخرجوا: بالبيت ستتمّ الخطوبة والتفاهم حول بقيّة المسائل العالقة.

قائد الفرقة: صفّقوا.

البديل الثّاني

بنفيلوس : لست أنساك، وبالمناسبة ها هو الشّيخ يخرج من البيت ويأتي إلينا في الأوان وفق أمانينا. (جزء مفقود)

المشهد السّادس (977-1000)

بنفيلوس، خارينوس، خريمس، داووس

بنفيلوس : (مخاطبا خريمس) كنت أنتظرك. أريد أن أحدّثك في شأن يخصّك. لقد بذلت ما بوسعي كيلا أغفل مسألة ابنتك الأخرى. وأعتقد أنّي وجدت لها زوجا يناسبها ويناسبك.

خارينوس: (مخاطبا داووس بصوت خفيض) آه، ويح نفسي يا داووس ممّا يحكم به القدر الآن على حبّي وحياتي.

خريمس : ليس الّذي تعني بالخاطب الجديد، لو شئتُ يا بنفيلوس.

خارينوس: (مخاطبا داووس) انهارت كلّ آمالي.

داووس : انتظر.

خارينوس: انتهى أمري.

خريمس : (مواصلا) في الواقع ما كان ذلك قطّ لأنّي أرفض مصاهرته...

خارينوس: (مخاطبا داووس) ماذا؟

داووس : اسكت.

خريمس : (مواصلا) إنّما لأنّي سعيت جاهدا لأوصل صداقتنا الموروثة عن آبائنا إلى أبنائنا مزيدة بنحو ما. أما وقد أتيحت لي الآن الوسيلة والظّروف المواتية لأرضيكما معا، فليتزوّجها.

بنفيلوس : مرحى.

داووس : اذهب إلى الرّجل واشكره. (يتقدّم خارينوس من خريمس)

خارينوس: حيّيت يا خريمس يا أفضل كلّ أصحابي. ليس العنصر الأقلّ في فرحي الحاضر أنّي وجدت ما أنتظر منك وأتمنّى* بحرارة: حقيقة نظرتك السّابقة إليّ.

خريمس: سنحكم عليك مستقبلا حسب ما تولي له عنايتك وجهدك. ربّما يمكنني تكوين هذا الافتراض: أنّك غير الشّخص الّذي كنت أعرف.

خارينوس: الأمر كذلك فعلا.

خريمس : أزوّجك ابنتي فيلومينة بمهر* يساوي ستّ وزنات*.